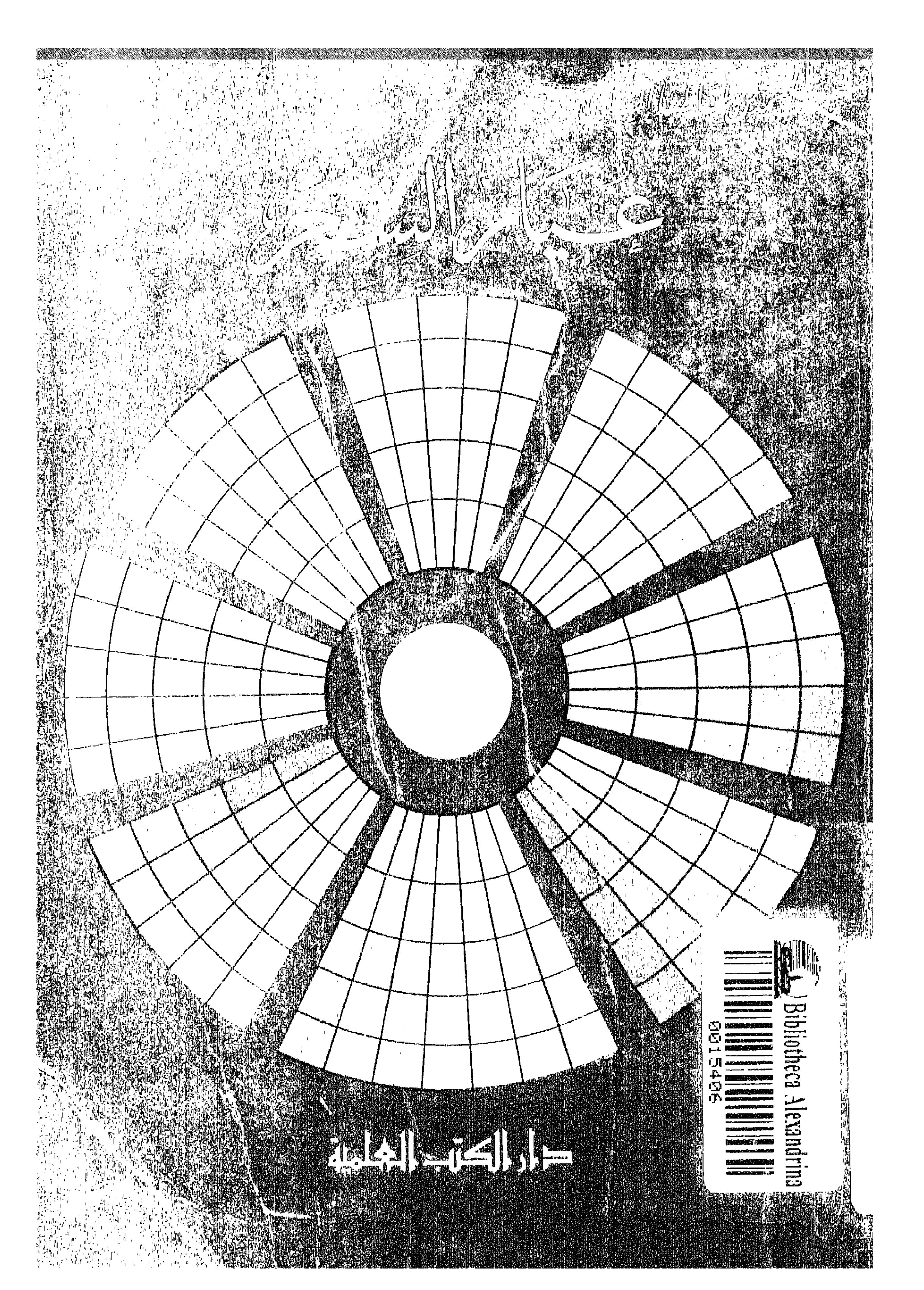

عجائب السحر
دار الكتب العلمية



عيار الشعر

تأليف

محمد أحمد بن طباطبا العلوي

شرح وتحقيق

عباس عبد الساتر

ماجستير في الأدب العربي

مراجعة

نعيم زرزور

دبلوم دراسات عليا في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م

بيروت ـ لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية ـ ص. ب : ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

نيو ملكارت سنتر ـ الرملة البيضاء ـ قرب محلات سبينيز

هاتف : ٨٠١٣٣٢ ـ ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ خاتم المرسلين وبعد ، فإنّ « عيار الشعر » لأبي الحسن محمد أحمد بن طباطبا العلوي ، كتابٌ ممتع حاول فيه المؤلّف أن يتناول نماذج من الشعر العربي في مختلف مراحله التي أدركها تناولاً نقدياً ليبينّ لنا كلّ الأدوات التي تساعد على صناعة الشعر وإتقان ضروبه المتنوّعة ، لأن الشعر في نظره لا يقتصر نظمه على امتلاك الموهبة فحسب ، بل يجب أن تردف تلك الموهبة أيضاً أدواتٌ كثيرة تهذّبه وتصقله وتسمو به إلى ذرى الفن الرائع الجميل ، فهو كغيره من الصناعات التي تتطلّب جهداً كبيراً ، وخبرة وفيرة ، وثقافة واسعة واطلاعاً وافياً حتى تستقيم قناته ويصلب عوده ، وتروج بضاعته ويحكم بنيانه ، وهذا التناول قد أوضح بشكلٍ جازم عمق معرفة الرجل بالشعر وأصالة فهمه وسلامة طبعه وصحة اختياراته في كلّ ما ذهب إليه . وهو يرى كذلك أنّه لا بدّ لكلّ من يحاول النظم من مرانٍ ومراس ، وهذان لا يكونان إلاّ باطلاعه الوافي على شعر القدامى وعلى أخبارهم وروايٰاتهم وآدابهم وتملُّك لغتهم والوقوف على كلّ ما قالته العرب في هذا الموضوع حتى ينسج أشعاره على غرار ما نسجوه ، ويبتعد في ذوقه عما نفرت منه أذواقهم وبذلك يجنّب نفسه المعايب والهنات التي يمكن أن يقع فيها ويحاسب عليها ، ولا بدّ له أيضاً من أن يصهر في معمله الذاتي كلّ قراءاته ، وأن يستفيد من تجارب الآخرين ، ولكن شرط أن لا يكون ناقلاً

لنفس المعاني وسارقاً لما توصّل إليه السابقون من نظمٍ بديعٍ وشعر رائع ، فالشاعر الحقّ في نظره هو الذي يصفّي شعره من الشوائب ويراجعه مراجعة دقيقة ويحسن حبك أبياته في القصيدة حتى تتآلف وتتجانس لفظاً ومعنى ، لأنّ في ذلك ابتعاداً بالشعر عمّا يسيء إليه وارتفاعاً به إلى مستوى رائعٍ من الاجادة والأصالة ، فليس الشعر عنده مجرّد نظمٍ في موضوع من الموضوعات وتوالي أبيات يجمعها الوزن والقافية ، بل هو صناعة يلعب فيها الفكر دوره الرائد المميّز فهو الذي ينظّم المعاني ويرتّب الأبيات ويحبك السياق ويهذّب العبارات وينقّح الصور والتشابيه والاستعارات وليس هذا معناه أنّ أبا الحسن قد أغفل دور العاطفة في هذه الصناعة فهو في حديثه عنها يؤكدّ الدور الهامّ لها حين يقول : « فإذا وافقت هذه الحالات تضاعف حسن موقعها عند مستمعها لا سيّما إذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها والتصريح بما كان يكتم منها » من هنا نستطيع أن نقول إن أبا الحسن قد أدرك أنّ العقل والعاطفة هما عمادا الشعر الذي لا يقوم بناؤه بدونهما ، كما أدرك أيضاً العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى ، إلاّ أنّ إدراكه لهذه العلاقة ظلّ أسير الآراء الاتباعية المعروفة التي تحدثت عن اللفظ والمعنى حديثاً خاصاً أفردت به الواحد عن الآخر ، وكأنّ كلاً منهما منفصلٌ عن سواه ، فهو في هذا الموضوع لا يبتعد عمّا ذكره ابن قتيبة وابن رشيق من بعده في حديثيهما عن الشعر وضروبه ، ولذا فإننا نراه يتحدّث عن الشعر الحسن اللفظ الواهي المعنى ، وعن الشعر الصحيح المعنى الرثّ الصياغة ، ولم يستطع ان يصل إلى إدراك أنّ الشعر بلفظه ومعناه معاً ، وإنّ كلاًّ منهما متمّمٌ للآخر ، فهما كالجسد الواحد ، ولا يمكن الفصل بينهما لأنهما وجهان لعملةٍ واحدة . . .

ولم ينس ابن طباطبا في كتابه ان يذكر لنا نماذج لكلّ ما تعارف النقاد على جودته ورداءته من الشعر ، فنراه في فصول كتابه يضرب لنا أمثلة كثيرة ويثبت ضروباً متنوعة من التشبيهات التي جاءت في أشعار السابقين تدليلاً على ما ذكرناه ، ثمّ يبينّ لنا صفات الشعر المحكم وأضدادها ، ويتحدث عن سُنن العرب وتقاليدها ، وعن

الأشعار المتقنة التي استوفت معانيها ، والأشعار الغثّة المتكّلفة التي يمجُّها الذوق ، كما يتعرض لمشكلة المعاني المشتركة « السرقات » وإلى أكثر ما يمتُّ إلى صناعة الشعر بصلة لأنّ الهدف الرئيسي الذي توخاه من وضع كتابه ، هو جمع مختلف الأدوات المساعدة على نظم الشعر وبنائه ضمن الذوق الأدبي الذي كان سائداً حتى عصره . وقد حرص أبو الحسن على أن يجعل من كتابه مرجعاً يحتذيه كلّ من يحاول صناعة القريض ويستدل به على فنونه المتنوعة وضروبه المستملحة والممجوجة حتى يتخلّص من العيوب والسقطات ، ويتجنّب الوقوع فيما عابه النقاد على كثيرٍ من الشعراء . . .

وبعد فإن « عيار الشعر » جهدٌ كبير وعملٌ رائع ينبغي الاطلاع عليه والاستفادة منه والتعرّف من خلاله على الذوق الأدبيّ للسّلف الصالح ، ذلك الذوق الذي قد نختلف معه في كثيرٍ من المسائل والتصوّرات ولكنّنا لا نستطيع إلاّ ان نتقبّله كحلقة من الحلقات الأوائل في سلسلة نموّ ذوقنا النقدي ، ونكبر فيه المنطلقات الطيبة التي أسهمت في تطور النقد العربي عبر عصوره المختلفة .

والله من وراء القصد

الناشر

ترجمة المؤلف

ابن طباطبا العلويّ

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن طباطبا العلوي ، يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، « وطباطبا » هي الصفة التي لحقت ابراهيم بن اسماعيل العلوي ، إذ أنّه كان يلثغ بالقاف فيجعلها « طاء » .

ولد بأصبهان ونشأ وتأدّب فيها ولم يغادرها إلى غيرها كما يقول ياقوت في معجم الأدباء عنه ، وأصبهان هذه بلدة جميلة فاتنة من أعلام المدن وتشتهر بمناخها وهدوئها وصفائها .

أمّا تاريخ ولادته فلم يعرف بالتحديد إذ لم تشر إليه المراجع التي ترجمت له ، ولكنّه يرجح أنّها كانت قبل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وذلك لما يرويه ياقوت من أنّ ابن المعتز « الخليفة العباسي » راسله ، وكان كلاً منهما مشتاقاً إلى رؤية صاحبه ، هذا من جهة ، ولما دونه ابن المعتز من شعر ابن طباطبا من جهةٍ أخرى ، ونحن نعرف أنّ ابن المعتز قتل سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة ، وعليه فلا بدّ أن يكون ابن طباطبا قبل ذاك في سنّ تؤهله لأن يعنى به ابن المعتز ويروي شعره ويصاحبه .

وقد أقام ابن طباطبا علاقات حميمةً مع أكثر أدباء عصره واشتهر بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وجودة النظم ، وقد تحدثت كتب التراجم عن فضله وعلمه

وأدبه وبراعته في نظم القريض إلاّ أن ديوانه لم يصل إلينا ولكنّ العلماء امثال الثعالبي والراغب الأصفهاني وياقوت الحموي والحصري وابن الأثير قد ذكروا كثيراً من أشعاره وقد جمعها مؤخراً أحد الباحثين وضمّنها ديواناً شعرياً خاصاً به .

أما سائر كتبه فهي :

كتاب في العروض يذكر ياقوت أنه « لم يُسبق إلى مثله »
وكتاب في المدخل في معرفة المعمّى من الشعر .
وكتاب في تفريط الدفاتر
إضافة الى كتابه عيار الشعر .

هذه هي بعض مؤلفات ابن طباطبا الذي كان من كبار شعراء عصره ، وأحد المشاركين في النهضة الفكرية والأدبية فيه ، وقد توفي الرجل سنة ٣٢٢ هـ وأعقب في أصبهان كثيراً ، كان منهم العلماء والأدباء والنقباء والمشاهير .

وينسب إليه كتاب اسمه تهذيب الطبع انظر ص ١٣ فقرة ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

قال أبو الحسن . محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، رحمة الله عليه :

وفقك الله للصواب ، وأعانك عليه ، وجنبك الخطأ ، وباعدك منه ، وأدام أنس الآداب باصطفائك لها ، وحياة الحكمة باقتنائك إياها .

فهمت - حاطك الله - ما سألت أن أصفه لك من الشعر ، والسبب الذي يتوصل به إلى نظمه ، وتقريب ذلك على فهمك ، والتأتّي لتيسير ما عسرُ منه عليك . وأنا مبيِّن ما سألت عنه ، وفاتح ما يستغلق عليك منه ، إن شاء الله تعالى .

الشعر وادواته

الشعر - أسعدك الله - كلام منظوم ، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم ، بما خُصّ به من النظم الذي إن عُدل عن جهته مجته الأسماع ، وفسد على الذوق . ونظمه معلوم محدود ، فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ، ومن اضطراب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به ، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه .

وللشعر أدواتٌ يجب إعدادها قبل مراسه وتكلّف نظمه . فمن تعصتّ عليه أداة من أدواته ، لم يكمل له ما يتكلفه منه ، وبان الخلل فيا ينظمه ، ولحقته العيوبُ من كلّ جهة .

فمنها : التوّسعُ في علم اللغة ، والبراعةُ في فهم الإعراب ، والروايةُ لفنون الآداب ، والمعرفةُ بأيام الناس وأنسابهم ، ومناقبهم ومثالبهم[1] ، والوقوفُ على مذاهب العرب في تأسيس الشعر ، والتصرفُ في معانيه ، في كل فن قالته العرب فيه ؛ وسلوك مُناهجِها في صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها ، والسننُ المستدلةُ منها ، وتعريضُها ، وإطنابُها وتقصيرُها ، وإطالتها وإيجازها ، ولطفها وخلابتها ، وعذوبةُ ألفاظها ، وجزالةُ معانيها وحسنُ مبانيها ، وحلاوةُ مقاطعها ، وإيفاء كُل معنى حظه من العبارة ، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زيٍّ وأبهى صورة . وأجتناب ما يشينُه[2] من سفساف الكلام وسخيف اللفظ ، والمعاني المستبردة ، والتشبيهاتِ الكاذبة ، والإشاراتِ المجهولة ، والأوصافِ البعيدة ، والعباراتِ الغثة [3]، حتى لا يكون متفاوتا مرقوعاً ، بل يكون كالسبيكة المفرغة ، والوشِي المنمنمِ والعقد المنظم ، واللباس الرائق ، فتسابق معانيه ألفاظه ، فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق[4] لفظه ، وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه ، وتكون قواعدَ للبناء يتركبُ عليها ويعلو فوقها ، فيكون ما قبلها مسوقاً إليها ، ولا تكون مسوقة إليه ، فتقلق في مواضعها ، ولا توافق ما يتصل بها ، وتكون الألفاظ منقادةً لما تراد له ، غير مستكرهة ، ولا متعبة ، لطيفةَ الموالجِ ، سهلةَ المخارجِ .

وجماعُ هذه الأدوات كمالُ العقلِ الذي به تتميز الأضداد ، ولزومُ العدلِ

---

(١) مثالبهم : المثالب : العيوب والنقائص .

(٢) يشينه : يعيبه - يزري به .

(٣) الغثة : الهزيلة - المستقبحة .

(٤) مونقٍ : جميل ورائع .

وإيثارُ الحسنِ ، واجتنابُ القبيحِ ، ووَضعُ الأشياء مواضعَها .

صناعة الشعر

فإذا أراد الشاعر بناء قصيدةٍ مخّضَ المعنى الذي يريد بناءَ الشعرِ عليه في فكره نثرا ، وأعد له ما يلبسُهُ إياه من الألفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه ، والوزنِ الذي يسلسُ له القول عليه . فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومُه[1] أثبته ، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيقٍ للشعر وترتيبٍ لفنون القول فيه ؛ بل يعلق كلَّ بيتٍ يتفق له نظمُهُ ، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله . فإذا كمُلتْ له المعاني ، وكثُرتِ الأبياتُ وفّق بينها بأبيات تكون نظاماً لها وسلكا جامعاً لما تشتت منها . ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه ونتجته فكرته ، يستقصي انتقادَه ، ويرمُّ[2] ما وهى[3] منه ، ويبدلُ بكل لفظةٍ مستكرهة لفظةً سهلةً نقيةً ، وإن اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني ، واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول ، وكانت تلك القافيةُ أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول ، نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن ، وأبطل ذلك البيت أو نقض بعضَهُ ، وطلب لمعناه قافيةً تشاكله ، ويكون كالنسَّاج الحاذق الذي يفوِّف[4] وشيه بأحسن التفويت ويسدّيه[5] وينيره[6] ولا يهلهلُ شيئاً منه فيشينه ، وكالنقاشِ الرفيق الذي يضع الأصباغ في أحسنِ تقاسيمِ نقشِه ، ويشبعُ كلَّ صبغٍ منها حتى يتضاعفَ حسنُهُ في العيان ، وكناظمِ الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائقِ ، ولا يشين عقودَهُ ، بأن يفاوتَ بين جواهرِها في نظمها وتنسيقها . وكذلكَ

---

(١) يرومه : يقصده ويريده .

(٢) يرمُّ : يرمِّمُ : يصلح ما بلى من الشيء

(٣) وَهَى : ضعف .

(٤) يفوّف : يزين .

(٥) يسديه : يمدُّ ما بين خيوطه .

(٦) ينيرّه : يقيّده .

الشاعرُ إذا أسس شعرَه على أن يأتيَ فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلطبه الحضريَ المولد ، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها ، وكذلك إذا سهّل ألفاظه لم يخلطْ بها الألفاظَ الوحشيةَ النافرة الصعبةَ القيادةِ ، ويقفُ على مراتبِ القول ، والوصف في فن بعد فن ، ويتعمدُ الصدقَ والوفقَ في تشبيهاته وحكاياته ، ويحضر لبَّهُ عند كل مخاطبة ووصف ، فيخاطبُ الملوكَ بما يستحقونه من جليل المخاطبات ، ويتوقى[1] حطها عن مراتبها ، وأن يخلطها بالعامة ، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك . ويعدُّ لكل معنى ما يليق به ، ولكل طبقة ما يشاكلها ، حتى تكون الاستفادةُ من قوله في وضعه الكلامَ مواضعَهُ أكثرَ من الاستفادة من قوله في تحسين نسجة وإبداع نظمه .

ويسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم ، وتصرفهم في مكاتباتهم ، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل ، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلةً لطيفة ، فيتخلصُ من الزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستماحة ، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف الفيافي والنوق ، ومن وصف الرعود والبروق إلى وصف الرياض والروّاد[2] ومن وصف الظلمان[3] والأعيار إلى وصف الخيل والأسلحة ، ومن وصف المفاوز والفيافي إلى وصف الطرد والصيد ، ومن وصف الليل والنجوم إلى وصف الموارد والمياه والهواجر والآل ، والحرابي والجنادب . ومن الافتخار إلى اقتصاص مآثر الأسلاف ، ومن الاستكانة والخضوع إلى الاستعتاب والاعتذار ، ومن الإباء والاعتياص[4] إلى الإجابة والتسمح ، بألطف تخلص وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلا به وممتزجاً معه ، فإذا استقصى المعنى وأحاطه بالمراد الذي

---

(١) يتوقى : يحذر ويتجنب .
(٢) الرواد : المتنزهون الذين يردون الرياض .
(٣) الظلمان : ج . ظليم : ذكر النعامة .
(٤) الاعتياص : الامتناع والاستعصاء .

إليه يسوق القولَ بأيسر وصف وأخف لفظ لم يحتج إلى تطويله وتكريره .

والشعرُ على تحصيل جنسه ومعرفةِ أسمه ، متشابهُ الجملة ، متفاوتُ التفصيل ، مختلفٌ كاختلاف الناس في صورهم ، وأصواتهم ، وعقولهم ، وحظوظهم وشمائلهم ، وأخلاقهم ، فهم متفاضلون في هذه المعاني ، وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس ؛ ومواقعها من اختيار الناس إياها كمواقع الصور الحسنة عندهم ، واختيارهم لما يستحسنونه منها . ولكلٍّ اختيار يؤثره ، وهوى يتبعه ، وبغية لا يستبدل بها ولا يؤثر سواها .

وقد جمعنا ما اخترناه من أشعار الشعراء في كتاب سميناه « تهذيب الطبع » يرتاض من تعاطى قول الشعر بالنظر فيه ، ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء ، ويتناول المعاني اللطيفة كتناولهم إياها ، فيحتذي على تلك الأمثلة في الفنون التي طرّقوا أقوالهم فيها . واقتصرنا على ما أخترناه من غير نفي لما تركناه ، بل لاستحسان له خصصناه به دون ما سواه ، وقد شذ عنا الكثير مما وجب اختياره وإيثاره ، وإذا استنفدناه ألحقناه بما اخترناه إن شاء الله تعالى .

فمن الأشعار أشعارٌ محكمةٌ متقنةٌ أنيقةُ الألفاظ حكيمةُ المعاني ، عجيبةُ التأليف إذا نُقِضت وجُعلتْ نثراً لم تبطل جودةُ معانيها ، ولم تفقد جزالةَ ألفاظِها . ومنها أشعارٌ مموهة ، مزخرفة عذبة ، تروق الأسماعَ والأفهامَ إذا مرت صفحاً[1]، فإذا حُصِّلت وانتقدت بهُرجت معانيها ، وزيِّفت ألفاظُها ، ومجّتْ حلاوتُها ، ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه ، فبعضها كالقصور المشيدة ، والأبنية الوثيقة الباقية على مر الدهور ، وبعضها كالخيام الموتدة التي تزعزعها الرياح ، وتوهيها الأمطار ، ويسرع إليها البلى ، ويخُشى عليها التقوّضُ[2] .

---

(١) صفحاً : عرضاً دون امعان النظر .

(٢) التقوّض : الانهيار والسقوط .

المعاني والألفاظ

وللمعاني ألفاظٌ تشاكلها[1] فتحسُنُ فيها وتقبُحُ في غيرها ، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض . وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه ، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه ، وكم من صارمٍ غضبٍ[2] قد انتضاه من وددتَ لو أنه انتضاه فهزّه ثم لم يضرب به ، وكم من جوهرة نفيسة قد شينت بقرينة لها بعيدة منها ، فأفردت عن أخواتها المشاكلات لها ، وكم من زائف وبهرج قد نفقا على نقادهما ، ومن جيدٍ نافق[3] قد بهرج عند البصير بنقده فنفاه سهواً ، وكم من زبر[4] للمعاني في حشو الأشعار لا يحسن أن يطلبها غير العلماء بها ، والصياقلة للسيوف المطبوعة منها ، وكم من حكمة غريبة قد أزدريت لرثاثةِ كسوتها ، ولو جليت في غير لباسها ذاك لكثر المشيرون إليها ، وكم من سقيم من الشعر قد يئس طبيبه من برئه ، عولج سقمُه فعاودته سلامتُه ، وكم من صحيح جُنِيَ عليه فأرداه حَيْنُهُ .[5] .

وليس يخلو ما أودعناه اختيارنا المسمى « تهذيب الطبع » من بناء إن لم يصلح لأن تسكُنَ الأفهامُ في ظله لم يبطل أن ينتفع بنقضه ، فبعض البناء يحتاج إليه .

شعر المولدين

وستعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم ، ولطفوا في تناول أصولها منهم ، ولبسوها على من بعدهم ، وتكثروا بأبداعها فسلمت لهم عند إدعائها ، للطيف سحرهم فيها ، وزخرفتهم لمعانيها .

---

(١) تشاكلها : تشابهها وتماثلها .

(٢) صارمٍ عضب : سيف قاطع .

(٣) نافق : رائج .

(٤) الزِّبْرُ : الكتابة ومنها الزبور

(٥) حيْنه : موته .

والمحنةُ على شعراء زماننا في أشعارهم أشدُّ منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة ، وخلابة ساحرة . فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك ، ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطرح المملول . ومع هذا فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء ، وفي صدر الإسلام ، من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاء ، وافتخاراً ووصفا ، وترغيباً وترهيباً ، إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر : من الإغراق في الوصف ، والإفراط[1] في التشبيه . وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق ، والمخاطبات بالصدق ، فيحابون[2] بما يثابون ويثابون بما يحابون .

والشعراء في عصرنا إنما يثابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم ، وبديع ما يغربون من معانيهم ، وبليغ ما ينظمونه من ألفاظهم ومضحك ما يوردونه من نوادرهم ، وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم ، دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح ، والهجاء ، وسائر الفنون التي يصرفون القول فيها . فإذا كان المديح ناقصاً عن الصفة التي ذكرناها ، كان سبباً لحرمان قائله ، والمتوسل به . وإذا كان الهجاء كذلك أيضاً كان سبباً لاستهانة المهجوّ به وأمنه من سيره ، ورواية الناس له ، وإذاعتهم إياه وتفكههم بنوادره لا سيما وأشعارهُم متكلفةٌ غير صادرة عن طبع صحيح ، كأشعار العرب التي سبيلهم في منظومها سبيلهم في منثور كلامهم الذي لا مشقة عليهم فيه .

فينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يُظهرَ شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها ، وأمر بالتحرز منها ، ونهي عن استعمال نظائرها ، ولا يضعُ في نفسه أن الشعر موضع اضطرار ، وأنه يسلك سبيل من كان

---

(١) الافراط : الاكثار .

(٢) يحابون : يتزلفون .

قبله ، ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها ؛ فليس يقتدى بالمسيء ، وإنما الاقتداء بالمحسن ، وكلٌّ واثق فيه مُجلٌّ له إلا القليل . ولا يغير على معاني الشعر فيودعُها شعره ، ويخرجها في أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التي يتناول منها ما يتناول ، ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان مما يستر سرقته ، أو يوجب له فضيلة ، بل يديم النظرَ في الأشعار التي قد اخترناها لتلصق معانيها بفهمه ، وترسخُ أصولُها في قلبه ، وتصيرُ موادَ لطبعه ، ويَذْرُبُ[1] لسانه بألفاظها ؛ فإذا جاش فكرُه بالشعر أدى إليه نتائجَ ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار ، فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن . وكما قد اغترف من وادٍ قد مدته سيول جارية من شعابٍ مختلفة ، وكطيب تركّب من أخلاط من الطيب كثيرة ، فيستغرب عيانه[2] ، ويغمض مستبطنه[3] ويذهب في ذلك إلى ما يحكى عن خالد بن عبد الله القسري ، فإنه قال : « حفظني أبي ألف خطبة ثم قال لي : تناسها ؛ فتناسيتها ؛ فلم أرد بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سهل عليّ » . فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه ، وتهذيباً لطبعه ، وتلقيحاً لذهنه ، ومادة لفصاحته ، وسبباً لبلاغته ولسنه وخطابته .

طريقة العرب في التشبيه

واعلم أن العرب أودعت أشعارهَا من الأوصاف والتشبيهات والحِكَم ما أحاطت به معرفتها ، وأدركه عيانُها ، ومرت به تجاربها وهم أهل وبر : صحونهم البوادي وسقوفهم السماء ، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها ، وفي كل واحدة منهما في فصول الزمان على اختلافها : من شتاء ، وربيع ، وصيف ، وخريف ، من ماء ، وهواء ، ونار ، وجبل ، ونبات ، وحيوان ، وجماد ،

---

(١) يذربُ : أي تسهل الالفاظ عليه وتنقاد اليه .

(٢) عيانه : مشاهده ، ظاهره .

(٣) مستبطنه : خفيّه .

وناطق ، وصامت ، ومتحرك ، وساكن ، وكل متولد من وقت نشوئه ، وفي حال نموه إلى حال انتهائه . فتضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسُّها ، إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها ، في رخائها وشدتها ، ورضاها وغضبها ، وفرحها وغمها ، وأمنها وخوفها ، وصحتها وسقمها ، والحلات المتصرفة في خلقها ، من حال الطفولة إلى حال الهرم ، وفي حال الحياة إلى حال الموت . فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادتها فإذا تأملت أشعارها وفتشت جميع تشبيهاتها وجدتها على ضروب مختلفة تتدرج أنواعُها . فبعضها أحسنُ من بعضه ، وبعضها ألطفُ من بعض . فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقص ، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى . وربما أشبه الشيءُ الشيءَ صورةً وخالفه معنىً ، وربما أشبهه معنى وخالفه صورةً ، وربما قاربه وداناه أو شامّه[1] . وأشبهه مجازاً لا حقيقة .

فإذا اتفق لك في أشعار العرب التي يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول ، أو حكاية تستغر بها فابحث عنه ونقّر عن معناه ، فإنك لا تعدم أن تجد تحته خبيئة إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها ، وعلمت أنهم أدق طبعاً من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته . وربما خفي عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم في حالات يصفونها في أشعارهم ، فلا يمكنك استنباط ما تحت حكاياتهم ، ولا تفهم مُثُلها إلا سماعاً ، فأذا وقفت على ما أرادوه لطف موقع ما تسمعه من ذلك عند فهمك .

والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه . كما قال بعض الحكماء : « للكلام جسدٌ وروحٌ ، فجسده النطقُ وروحُه معناهُ » . فأما ما وصفته العرب ، وشبهت بعضَه ببعض فما أدركه عيانها فكثير لا يحصر عدده ، وأنواعه

---

(١) شامّه : قاربه وداناه .

كثيرة . وسنذكر بعض ذلك ونبين حالاته وطبقاته إن شاء الله تعالى .

المثل الاخلاقية عند العرب
وبناء المدح والهجاء عليها

وأما ما وجدتْهُ في أخلاقها ومدحتْ به سواها ، وذمت من كان على ضد حاله فيه فخلال[1] مشهورة كثيرة : منها في الخلْق الجمال والبسطة ، ومنها في الخُلُق السخاء والشجاعة ، والحلم والحزم والعزم ، والوفاء ، والعفاف ، والبر ، والعقل ، والأمانة ، والقناعة ، والغيرة ، والصدق ، والصبر ، والورع ، والشكر ، والمداراة ، والعفو ، والعدل والإحسان ، وصلة الرحم ، وكتم السر ، والمواناة ، وأصالة الرأي ، والأَنَفة ، والدهاء وعلو الهمة ، والتواضع ، والبيان ، والبشر ، والجَلَد ، والتجارب ، والنقض والإبرام . وما يتفرع من هذه الخلال التي ذكرناها من قرى الأضياف ، وإعطاء العفاة ، وحمل المغارم ، وقمع الأعداء ، وكظم الغيظ ، وفهم الأمور ، ورعاية العهد ، والفكرة في العواقب ، والجد ، والتشمير ، وقمع الشهوات ، والإيثار على النفس ، وحفظ الودائع ، والمجازاة ، ووضع الأشياء مواضعها ، والذب عن الحريم ، واجتلاب المحبة ، والتنزه عن الكذب ، واطراح الحرص ، وإدخار المحامد والأجْر ، والاحتراز من العدو ، وسيادة العشيرة ، واجتناب الحسد ، والنكاية في الأعداء ، وبلوغ الغايات ، والاستكثار من الصدق ، والقيام بالدية ،وكبت الحساد ، والإسراف في الخير ، واستدامة النعمة ، وإصلاح كل فاسد ، واعتقاد المنن ، واستعباد الأحرار بها ، وإيناس النافر ، والإقدام على بَصيرةٍ ، وحفظ الجار . وأضداد هذه الخلال : البخل ، والجبن ، والطيش ، والجهل ، والغَدْر ، والاغترار ، والفشل ،

---

(١) خلال : صفات .

والفجور ، والعقوق ، والخيانة ، والحرص والمهانة ، والكذب ، والهلع ، وسوء الخلق ، ولؤم الظفر[١] ،والخور[٢] ، والإساءة ،وقطيعة الرحم ، والنميمة ، والخلاف ، والدناءة ، والغفلة ، والحسد ، والبغي ، والكبر ، والعبوس ، والإضاعة ، والقبح ، والدمامة ، والقماءة ، والابتذال ، والخرَفُ ، والعجز ، والعي .

ولتلك الخصال المحمودة حالات تؤكدها ، وتضاعف حسنها ، وتزيد في جلالة المتمسك بها ، كما أن لأضد ادها أيضاً حالات تزيد في الحط ممن وسم بشيء منها ونسب إلى استشعار مذمومها ، والتمسك بفاضحها ،كالجود في حال العسر موقعه فوق موقعه في حال الجِدَة ، وفي حال الصحو أحمدُ منه في حال السكر ، كما أن البخل من الوافر القادرِ أشنعُ منه من المضطر العاجز ، والعفو في حال المقدرة أجلُّ موقعاً منه في حال العجز ، والشجاعة في حال مبارزة الأقران أحمدُ منها في حال الإحراج ووقوع الضرورة ، والعفة في حال اعتراض الشهوات والتمكن من الهوى أفضلُ منها في حال فقدان اللذات ، واليأس من نيلها ، والقناعة في حال تبرج[٣] الدنيا ومطامعها أحسنُ منها في حال اليأس وانقطاع الرجاء منها .

وعلى هذا التمثيل ، جميع الخصال التي ذكرناها . فاستعملت العرب هذه الخلال وأضدادها ، ووصفت بها في حَاليْ المدح والهجاء مع وصف ما يستعد به لها ويتهيَّأ لاستعماله فيها ، وشعبت منها فنوناً من القول وضروباً من الأمثال وصنوفاً من التشبيهات ستجدها على تفننها واختلاف وجوهها في الاختيار الذي جمعناه ، فتسلك في ذلك منهاجهم ، وتحتذي على مثالهم إن شاء الله تعالى .

---

(١) لؤم الظفر : اللؤوم في حالة الانتصار .
(٢) الخور : الضعف .
(٣) تبرّج : تزيّن .

عيار الشعر

علة حسن الشعر

وعيار الشعر أن يُورَدَ على الفهم الثاقب ، فما قبله واصطفاه فهو واف ، وما مجّه[1] ونفاه فهو ناقص . والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه ، ونفيه للقبيح منه ، واهتزازه لما يقبله ، وتكرُّهَهُ لما ينفيه ، إن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لاجور فيه ، وبموافقة لا مضادة معها ، فالعينُ تألف المرأى الحسن ، وتقذَى[2] بالمرأى القبيح الكريه ، والأنف يقبل المشمَّ الطيبَ ، ويتأذى بالمنتن الخبيث ، والفمُ يلتذُّ بالمذاق الحلو ، ويمجُّ البشع المر ، والأذنُ تتشوَفُ[3] للصوت الخفيض الساكن وتتأذى بالجهير الهائل ، واليد تنعم بالملمس اللين الناعم ، وتتأذى بالخشن المؤذي . والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، والجائز المعروفِ المألوفِ ، ويتشوفُ إليه ، ويتجلى له ، ويستوحش من الكلام الجائر ، والخطأ الباطل ، والمحالِ المجهول المنكر ، وينفر منه ، ويصدأ له .

فإذا كان الكلامُ الواردُ على الفهم منظوماً ، مصفى من كدر العيِّ ، مقوماً من أود الخطأ واللحن ، سالماً من جور التأليف ، موزوناً بميزان الصواب، لفظاً ومعنى وتركيباً اتسعت طرقُه ، ولطفت موالجُهُ[4] ، فقبله الفهم وارتاح له ، وأنس به . وإذا وَرَدَ عليه على ضد هذه الصفة ، وكان باطلا محالاً مجهولاً ، انسدت طرقه ونفاهَ واستوحش عند حسه به ، وصدىء له ، وتأذى به ، كتأذى سائر الحواس بما يخالفها على ما شرحناه .

---

(١) مجّهُ : كرهه .

(٢) تقذى : القذى : ما يصيب العين من غبار او غيره .

(٣) تشوّف : تتزيّن .

(٤) الموالج : المداخل .

وعلةُ كلٍّ حسن مقبول الاعتدال ، كما أن علة كل قبيح منفيّ الاضطراب . والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها ، وتقلق مما يخالفه ، ولها أحوالٌ تتصرف بها ، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لهاأريحية وطرب ، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت وأستوحشت .

وللشعر الموزون إيقاعٌ يطربُ الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال اجزائه . فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحةُ المعنى وعذوبةُ اللفظ فصفا مسموعُه ومعقوله من الكدر[1] تمّ قبوله له ، واشتماله عليه ، وإن نقص جزءٌ من أجزائه التي يعمل بها وهي : اعتدال الوزن ، وصواب المعنى ، وحسن الألفاظ ، كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه . ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه ، المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب ألحانه . فأما المقتصر على طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب . وهذه حال الفهم فيما يرد عليه من الشعر الموزون مفهوماً أو مجهولاً . وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقعُ لطيفة عند الفهم لا تحد كيفيتها : كمواقع الطعوم المركبة الخفية التركيب اللذيذة المذاق ، وكالأراييح[2] الفائحة المختلفة الطيب والنسيم ، وكالنقوش الملونة التقاسيم والأصباغ ، وكالإيقاع المطرب المختلف التأليف ، وكالملامس اللذيذة الشهية الحس ، فهي تلائمه إذا وردت عليه ـ أعني الأشعار الحسنة للفهم ـ فيلتذها ويقبلها ، ويرتشفها كارتشاف الصديان[3] للبارد الزلال ، لأن الحكمة غذاء الروح ، فأنجع الأغذية ألطفُها . وقد قال النبي ﷺ : « إن من الشعر حكمةً » وقال عليه السلام : « ما خرج من القلب وقع القلب ، وما خرج من اللسان لم يتعد الآذان » . فإذا صدق ورودُ القول نثراً ونظماً أثلج صدرَه . وقال

---

(١) الكدر : ما يشوبه من اشياء تعيبه .

(٢) الاراييح : ج . رائحة .

(٣) الصديان : الظمىء .

بعض الفلاسفة : « إن للنفس كلماتٍ روحانيةً من جنس ذاتها » . . وجعل ذلك برهاناً على نفع الرُّقى ونجعها فيما تستعمل له .

فإذا ورد عليك الشعرُ اللطيف المعنى ، الحلو اللفظ ، التام البيان ، المعتدلُ الوزن ، مازج الروحَ ولاءم الفهم ، وكان أنفذَ من نفث السحر ، وأخفى دبيباً من الرقى ، وأشد إطراباً من الغناء ، فسلَّ السخائم[1] ، وحلل العقدَ ، وسخّى الشحيحَ ، وشجع الجبان ، وكان كالخمر في لطف دبيبه وإلهائه ، وهزه وإثارته . وقد قال النبي ﷺ : « إن من البيان لسحراً » .

علة أخرى

ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علةٌ أخرى وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها ؛ كالمدح في حال المفاخرة ، وحضور من يُكبَتُ بانشاده من الأعداء ، ومن يسر به من الأولياء . وكالهجاء في حال مباراة المهاجىَ ، والحط منه حيث ينكى فيه استماعه له . وكالمراثي في حال جزع المصاب ، وتذكُّر مناقبِ المفقود عند تأبينه ، والتعزية عنه . وكالاعتذار والتنصل من الذنب عند سلّ سخيمة المجني عليه ، المعتذر إليه . وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران وطلب المغالبة . وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق ، واهتياج شوقه وحنينه إلى من يهواه .

صدق العبارة

فإذا وافقت هذه الحالاتُ ، تضاعف حسنُ موقِعها عند مستمعها ، لا سيما إذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها ، والتصريح بما كان يكتم منها ، والاعترافِ بالحق في جميعها .

---

(١) السخائم : الاحقاد .

والشعرُ هو ما إن عُرِّيَ من معنى بديع لم يعرَّ من حسن الديباجة . وما خالف هذا فليس بشعر . ومن أحسن المعاني والحكايات في الشعر وأشدها استفزازاً لمن يسمعها ، الابتداء بذكر ما يعلم السامع له إلى أي معنى يساق القول فيه قبل استتمامه ، وقبل توسط العبارة عنه ، والتعريض الخفيُّ الذي يكون بخفائه أبلغ في معناه من التصريح الظاهر الذي لا ستر دونه . فموقع هذين عند الفهم كموقع البشرى عند صاحبها لثقة الفهم بحلاوة ما يرد عليه من معناهما .

ضروبُ التشبيهات

والتشبيهاتُ على ضروب مختلفة . فمنها : تشبيه الشيء بالشيء صورةً وهيئةً ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة ،وبطئاً وسرعة ، ومنها تشبيهه به لوناً ، ومنها تشبيهه به صوتاً . وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيهُ وتأكد الصدقُ فيه ، وحَسُنَ الشعرُ به للشواهد الكثيرة المؤيدة له .

فأما تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة فكقول امرىء القيس :

كأنَّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً   لدَى وكرِها العُنّاب والحَشَفُ البَالي[1]

وكقوله :

كأنَّ عُيونَ الوحْشِ حول خبائنا   وأرحلنا الجَزْعُ الذي لم يُثقَّبِ[2]

وكقول عدي بن الرقاع :

تزجي أغَنَّ كأنَّ إبرةَ روقهِ[3]   قلمٌ أصاب من الدواة مدادها

---

(١) الحشفُ : البقايا اليابسة من الاطعمة .   (٢) الجزع : الخرز .

(٣) روقة : الرواق ـ ستر يمُدُّ دون السقف ، والروق سقف في مقدّم البيت .

وأما تشبيه الشيء بالشيء لوناً وصورة فكقول امرىء القيس يصف الدرع :

ومسرودةُ السكُّ موضونةٌ[1] تضاءل في الطيِّ كالمبرد
تفيض على المرء أرْدَانها[2] كفيض الأتيِّ[3] على الجدجد[4]

وكقول النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكةٍ بردا أسف لثاته بالإثمدِ[5]
كالأقُحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسْفَلُه نَدي

وكقول حميد بن ثور :

على أن سحقا من رمادٍ كأنَّهُ حصى إثْمدٍ بين الصلاءِ سَحيق

وأما تشبيه الشيء بالشيء صورة ولوناً وحركة وهيئة فكقول ذي الرُّمَّة :

مابالُ عينك منها الدمع ينسكبُ كأنه من كُلىً مفريةٍ سَربُ
وفراءُ غرفيةٌ أثأى خوارِزها مشلشلٌ ضيعته بينها الكتبُ[6]

وكقول الشماخ [7]

لليلى بالعنيزة ضوءُ نارٍ تلوح كأنها الشعرى العبورِ
إذا ما قلت أخمدها زهاهَا سواد الليل والريح الدبورِ[8]

---

(١) موضونة : الدرعُ المنسوجة ، وقيل المنسوجة بالجواهر .
(٢) اردانها : اكمامها .
(٣) الاتيّ : السيل .
(٤) الجدجد : الارض الصلبة .
(٥) الاثمد : الكحل .
(٦) أثأي خوارزها : أثأى جمع الخرزتين فصارتا واحدة .
مشلشل : متصل القطر نعت لسرب والكتب جمع كتبه وهي الخرزة .
(٧) الشمّاخ بن ضرار شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام (الاغاني ٨/ ٩٧) (ابن سلام ١/ ١٣٢) .
(٨) الريح الدبور : هي ريحٌ خبيثة عند العرب .

وكقول ابن الشماخ : وهو جنادة بن جزيّ .

والشمسُ كالمرآةِ في كفٍّ الأشل [1]

وكقول امرىء القيس :

جمعتُ ردينيّاً كأن سنانُه سنا لهب لم يتصل بدخان [2]

وكقول ليلى الأخيلية :

قومٌ رباطُ الخيلِ وسط بيوتهم وأسنةٌ زرقٌ يُخلنَ نجوما [3]

وأما تشبيه الشيء بالشيء حركة وهيئة فكقول عنترة :

وترى الذبابَ بها يغني وحده هزجاً كفعل الشارب المترنم
غرداً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم [4]

وكقول الأعشى .

غراءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها [5] تمشي الهوينى كما يمشي الوجى الوجلُ
كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

وكقول حميد بن ثور .

أرقت لبرقٍ آخرُ الليلِ يلمعُ سرى دائبا فيه يهب ويهجع [6]

---

(١) الاشلّ : الذي لا حراك فيه ، وشلّت : قطعت وحبست .
(٢) الرديني : الرمح . السنا : الضياء .
(٣) يخلن : يحسبن .
(٤) الزناد : وهو العود الذي تقدح به النار .
والاجزم : المقطوع اليد .
(٥) العوارض : الاسنان .
الوجى : الظبي .
(٦) يهجع : يرقد وينام .

دنـا الليل واستـن[1] استنانـا زَفيفه[2] كما استن في الغاب الحـريق المشيَّعُ

وكقوله :

خفـا كإقتذاء الـطير والليلُ مدبرٌ بجثمانـه والصبـحُ قد كان يسطعُ[3]

وكقول ابن هرمة :

ترى ظلهـا عنـد الـرواح كأنه إلـى دفِّهـا رألٌ يخـبُّ جنيبُ[4]

وكقول الآخر .

يضحـى بهـا الحربـاء وهـو كأنه خصـم معـدٌ للخصومـة موفِقُ[5]

وكقول الآخر :

كأن أنـوف الـطير في عرصاتِها[6] خراطيمُ أقـلامٍ تخُـطُّ وتُعجمُ[7]

وأما تشبيه الشيء بالشيء معنى لا صورة فكتشبيه الجواد الكثير العطاء بالبحر والحيا[8] ، وتشبيه الشجاع بالأسد ، وتشبيه الجميل الباهر الحسن الرواء بالشمس ،

---

(١) استنّ : انتشر .
(٢) زفيفه : بريقه .
(٣) اقتذاء الطير : فتحها اعينها وتغميضها .
(٤) رأل : ولد النعامة .
يخبُّ : من الخبب وهو نوع من غدو الجمال ، وخبيب مضطربة في سيرها من السرعة ، اي ان ظلّها من سرعتها يضطرب اضطراب الرأل .
(٥) موفق : من اوفق السهم اذا جعل فوقه في الوتر
(٦) عرصاتها : ج ـ عَرْصة : ساحة الدار .
(٧) تعجمُ : تفصح . والاعجام تنقيط الحروف ومنها الحروف المعجمة اي المنقوطة .
(٨) الحيا : المطر .

وتشبيه المهيبِ الماضي في الأمور بالسيف ، وتشبيه العالي الهمة بالنجم ، وتشبيه الحليم الركين بالجبل ، وتشبيه الحيي بالبكر ، وتشبيه العزيز الصعب المرام بالمتوقل في الجبال والسامي في العلو ، وتشبيه الفائت بالحُلم ، وبأمس الذاهب . وتشبيه أضداد هذه المعاني بأشكالها على هذا القياس : كاللئيم بالكلب ، والجبان بالصِّفرد[1] ، والطائش بالفراش ، والذليل بالنقد وبالوتد ، والقاسي بالحديد والصخر .

وقد فاز قوم بخلالٍ شهروا بها من الخير والشر وصاروا أعلاماً فيها فربما شبه بهم فيكونون في المعاني التي احتووا عليها وذُكروا بشهرتها نجوماً يُقتدى بهم ، وأعلاماً يشارُ إليهم كالسموأل في الوفاء ، وحاتم في السخاء ، والأحنف في الحلم ، وسحبان في البلاغة ، وقيس في الخطابة ، ولقمان في الحكمة ، فهم في التشبيه يجرون مجرى ما قدمنا ذكره من البحر والحيا والشمس والقمر والسيف ، ويكون التشبيه بهم مدحاً كالتشبيه بها ، وكذلك أضدادها . وقوم يذمون فيما شهروا به ، يشبه بهم في حال الذم ، كما يشبه بهؤلاء في حال المدح : كباقل في العي ، وهنبقة في الحمق ، والكسعى في الندامة ، والمنزوف صرطاً في الجبن .

فالشاعر الحاذق يمزج بين هذه المعاني في التشبيهات لتكثر شواهدها ويتأكد حسنها ، ويتوقى الاقتصار على ذكر المعاني التي يغير عليها دون الإبداع فيها والتلطيف لها لئلا يكون كالشيء المُعاد المملول .

أدوات التشبيه

فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا ، وما قارب الصدق قلت فيه تراه أو تخاله أو يكاد . فمن التشبيه الصادق قول أمرىء القيس :

---

(١) الصِّفرد : طائر جبان يتعلق باغصان الشجر من فرط جبنه .

نظـرتُ إليهـا والنجـومُ كأنها مصـابيحُ رهبـانٍ تشـب لُقفَّالِ[1]

فشبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها وتعهـد الرهبـان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح ، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل للصباح كتضاؤل المصابيح له . وقال : (تشب لقفال) لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوي إليها من مصيف إلى مشتى ، ومن مشتى إلى مربع أوقدت نيراناً على قدر كثرة منازلها وقلتها ليهتدى بها ، فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها في مكان بعد مكان على حسب منازل القفال من أحياء العرب ، ويُهتدى بالنجوم كما يهتدي القفال بالنيران الموقدة لهم .

وأما تشبيه الشيء بالشيء معنى لا صورة فكقول النابغة :

ألـم تر أن الله أعطـاك سورة[2] ترى كلَّ ملكٍ دونهـا يتذبذبُ
فإنـك شمسٌ والملـوكُ كواكبُ إذا طلعـت لم يبدُ منهـن كوكبُ

وكقوله أيضاً :

فإنـك كالليل الـذي هو مدركي وإن خلـت أن المنتأى عنك واسعُ
خطـاطيف حجـن في حبـال متينة تمـد بهـا أيدٍ إليك نوازعُ[3]

وكقوله :

وإنـك غيث ينعش النـاس سيبه[4] وسيف أعيرتـه المنية قاطع

وكقول الأعشى :

كالهندوانـي لا يخـزيكَ مشهدُهُ وسـط السيوفِ إذا ما تُضـربُ البهمُ

---

(١) تشب لقفّال : توقد للقوافل العائدة الى اماكنها .
(٢) سوْرة : منزلة رفيعة .
(٣) نوازعُ : ممتدّة وقاصدة .
(٤) سيبه : عطاؤه .

وكقول زهير :

لو كنــتَ من شيءٍ سوى بشرٍ ... كنــتَ المنيرَ لليلــةِ البدرِ
ولأنــت أجــودُ بالعطــاء من الـ ... ـريّان لمــا جاد بالقطر
ولأنــت أشجــعُ من أسامــة إذ ... رأب الصــريخ ولــجَّ في الذعر
ولانــت أحيا من مخدَّرةٍ ... عذراء تقطــن جانــب الخِدر
ولأنــت أبينُ حين تنطــق من ... لقمــان لمــا عيّ بالمكر

وكقول النابغة الجعدي :

فقــد بَليتُ وأفنانــى الزَّمــانُ كما ... يُفْني تقلُّــبُ أقطْارِ الرَّحــىَ القُطُبَا[1]

وقال الراعي ،[2]

وكالسَّيفِ إن لايَنْته لانَ متْنُهُ ... وحــدَّاهُ إنْ خاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وكقول الراعي :

فمــا أمٌّ عبــد الله إلا عطيةٌ ... من الله أعطاهــا امــرءاً هوّ شاكر
هي الشّمسُ وافاهــا الهــلالُ بنوهما ... نجــومٌ بآفــاق السمــاء نظائرُ
تذكرهــا المعــروف وهــي حيية ... وذو اللـــب أحيانــا مع الحلــم ذاكرُ
كمــا استقبلــت غيثا جنــوبٌ ضعيفةٌ ... فأسبَل ريان الغمامــة ماطرٌ

* * *

(١) تقلُّب اقطار الرحى القطبا : اين ان الزمان يفني الانسان كما تغني الرحى بتقلبها ما يوضع تحتها من الحبِّ وغيره فتطحنه .

(٢) الراعي : راعي الابل عبيد بن حصين ، كان من الرجال العرب ووجوه قومه ، هاجى جريراً . فغلبه جرير .

(طبقات الشعراء ابن سلاّم طبع محمود شاكر١/ ٥٠٢ (الاغاني ٢/ ١٧١) .

وأما تشبيه الشيء بالشيء حركة وبطئاً وسرعة فكقول الراعي :

كأن يديهـا بعـد ما انضمّ بدنُها ... وصـوّب حاد بالـرّكاب يسوقُ[١]
يدا ماتـح عجـلان رخـو ملاطُه ... له بكرةٌ تحـتَ الرّشـاء فلُوق[٢]

وكقول امرىء القيس :

كأن الحصـى من خلفهـا وأمامها ... إذا نجلتْـهُ رجلهـا حذْفُ أعسرا[٣]

وكقول الآخر :

كأنّمـا الرِّجْـلانِ واليَدانِ ... طالبتـا وتْـرٍ وهَارِبانِ[٤]

وكقول الأخطل :

وهـن عنـد اغتـرار القـوم ثورتُها ... يُرهقـن مجتمـع الأعنـاق والركبِ
فهـنّ ثُمّـتَ يُزفـى قذْف أرجُلها ... إهْـذاب أيد بهـا يضـريْنَ كالعَذب[٥]
كلمـع أيدي مشـاكيل مثلَّبةٍ ... ينعين فنيان ضرس الدهـر والخُطُبِ

وكقول حميد بن ثور :

من كُلّ يعملـة يظـلّ زِمامُها ... يسعـى كمـا هرَبَ الشجـاعُ المنفَرُ

---

(١) بدنُها : البدن : النوق .
(٢) ماتح : يُقال الابل تمتح في سيرها اي تتروّح بايديها .
ملاطُهُ : كتفه .
الرُّشاء : الحبل ، فلوق : مشقق
(٣) النجل : الرمي بالشيء . والحذف الرمي بالحصى والنوى .
(٤) الوتر : الثأر .
(٥) ثمّت : حين .
يُزفى : الزفى : الدفع .
إهذاب : الاهذاب : السرعة .
الضرى : العمل الدائب المستمر .
العَذب : السوط .

وكقول الشماخ .

وكلهــن يبــاري ثَنْيَ مُطَّرِدٍ[1] كحيَّة الطَّــود ولّــى غيرَ مطرود

وكقول امرىء القيس :

مكر مفــرٍ مقبــلٍ مدبــرٍ معا كجلمـودِ صخـر حطَّـه السيل من عَلِ

أصــاحِ ترى برقــاً أرُيك وميضه كلمــح اليدين في حبِــي مكلل[2]

وأما تشبيه الشيء لوناً فكقول الأعشى .

وسبيئــةٍ ممــا تُعتِّــق بابل كدمِ الــذبيحِ سلبتُهــا جرباها[3]

وكقول حميد بن ثور :

والليلُ قد ظهــرت نحيزتُه والشــمس في صفراءَ كالورْس[4]

وكقول الشماخ :

إذا ما الليلُ كان الصبــحُ فيه أشــقٌ كمفــرق الــرأس الدهينِ[5]

وكقول عبيد بن الأبرص :

يا من لبــرق أبيتُ الليلَ أرقُبه في عارضٍ كمضيء الصبــح لَماحِ

---

(١) ثنيّ : زمام .

(٢) حَبِّي : الحبيّ : العارض المرتفع وقيل القريب .
المكلل : المنتشر في جوانب السماء بعضه فوق بعض .

(٣) جرباها : اي شربت ما فيها .

(٤) نحيزته : نسيج شبه بالحزام .
الورس : نبات اصفر اللون .

(٥) الدهين : المطيّب بانواع الدهون .

وكقول زهير :

زجــرت عليه حرةً أرحبيةً وقد صار لون الليل مثل الأَرَنْدَجِ[1]

وكقول امرىء القيس :

وليلٍ كمــوج البحــر أرخــى سدولَهُ عليَّ بأنــواع الهمــوم ليبتلي

وكقول كعب بن زهير :

وليلــةٍ مشتــاقٍ كأن نجومها تفرقــن منهــا في طيالســة خُضُرْ

وكقول ذي الرمة :

وليلٍ كسربــال الغــراب ادرعتُهُ إليكِ كما احتــثَّ اليمامــة أجدلُ[2]

وكقول ابن هرمة :

وقدلاح للساري الــذي كَحَّــلَ السُّرى على أخــريات الليل فتْــقٌ مشَّهرُ

كلــون الحصــانِ الأنبــطِ البطــن قائما تمــايل عنــه الجــلُّ واللــونُ أشقرُ[3]

وكقوله :

إلى أن يشــقَّ الليلَ وردٌ كأنه وراء الدجــى جَاد أغــرٌّ جوادُ

وأما تشبيه الشيء بالشيء صوتاً فكقول الشماخ :

أجــدُّ كأن صريفَهــا بسديسها في البيد صارخــةً صريرَ الأخطبِ[4]

---

(١) حرّة ارحبية : الحرّة : البعيرة .
ارحبية : نسبة الى ارحب .
الارندج : الدارس . او الأسود .

(٢) احتثّ : طارد فاسرعت هرباً منه .
الاجدلُ : الصقرُ .

(٣) الانبط : الفرس الأبيض البطن والصدر .
الجلُّ : ما علاه .

(٤) الصريف : صوت البكرة .
الاخطب : الصقر .

وكقول الراعي :

كأن دويَّ الحليّ تحت ثيابها   حصادُ السفا لاقى الرياح الزعازعا[1]

وكقول الشماخ :

كأن نهيفهن بكل فجٍّ   إذا ارتحلوا تأوّه نائحات[2]

وكقوله :

إذا أنبض الرامـوان عنها ترنمت   ترنُّم ثكلى أوجعتها الجنائز

وكقول الأعشبي :

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت   كما استعان بريحٍ عِشرِقٌ زجِلُ[3]

وأما الابتداء بما يحسُّ السامع بما ينقاد إليه القول فيه قبل استتمامه فكقول النابغة :

إذا ما غزوا بالجيش حلَّق فوقهم   عصائب طير تهتدي بعصائب

فقدم في هذا البيت معنى ما تحلّقُ الطير من أجله ، ثم أوضحه بقوله :

يصاحِبْنَهم حتى يغرنَ مغارهم   من الضاريات بالدماء الذوارب

تراهنَّ خلف القوم زُوُراً كأنها   جلوس شيوخٍ في مسوك الأرانِبِ[4]

جوانحُ قد أيقنَّ أن قبيلهُ   إذا ما التقى الجمعان أولُ غالب

لهن عليهم عادةٌ قد عرفنها   إذا عرَّضوا الخطيَّ فوق الكواثب[5]

وقول الآخر :

لعمرك ما الناسُ أثنوا عليك   ولا مدحوك ولا عظَّموا

---

(١) السفا : شجر له شوك .

(٢) نهيفهنّ : انينهنّ .

(٣) عِشرق : شجرة اذا مرّت بها الريح سمع لها خشخشة .
زجِلُ : الصوت الرفيع العالي .

(٤) في الديوان : تراهن خلف القوم خزراً عيونها   جلوس الشيوخ في مسوك المراتب .

(٥) الخطيّ : الرماح . الكواثب : جمع كاثبة : ما تقع عليه يد الفارس من أصل عنق الفرس الى ما بين الكتفين .

ولو انهم وجدوا مسلكا إلى أن يعيبوك ما أحجموا

فقدم معنى ما ساق إليه الابتداء ، فقال في تمامه :

ولكن صبرت لما ألزموك وجُدتَ بما لم يكن يلزمُ
وأنت بفضلك ألجأتهم إلى أن يقولوا وأن يُعظموا

وأما التعريض الذي ينوب عن التصريح ، والاختصار الذي ينوب عن الإطالة . فكقول عمرو بن معدي كرب :

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقْتُ ، ولكنَّ الرماح أجَرّتِ[1]

أي لو أن قومي اعتنوا في القتال ، وصدقوا المصاع ، وطعنوا أعداءهم برماحهم فأنطقتني بمدحهم وذكر حسن بلائهم نطْقتُ ، ولكن الرماح أجرَّت أي شقت لساني كما يجر لسان الفصيل ، يريد أسكتتني .

وكقول الآخر في معناه :

بني عمنا لا تذكروا الشعرَ بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

وكقول قيس بن خويلد في ضده :

وكنا أناساً أنطقتنا سيوفنا لنا في لقاء القوم جَدٌّ وكوكبُ

وكقول الآخر :

لعمري لنعم الحيِّ حيُّ بني كعب إذا نزل الخلخال منزلة القُلْبِ

يقول : إذا ريعَتْ صاحبة الخلخال فأبدت ساقها وشمرت للهرب . .

والقلب السوار تبديه المرأة وتخفي الخلخال إذا لبستهن . وقد قيل في معنى هذا البيت أيضاً إن المرأة إذا ريعت لبست الخلخال في يدها دهشاً .

---

(١) اجرَّت : شقت اللسان واسكتته .

وكقول حميد بن ثور :

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وكقول لبيد :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

ومن الاختصار قول لبيد :

وبنو الريَّانِ أعداءٌ للاَ ... وعلى ألسنهم ذلَّت نعمْ[1]

زينَتْ أحسابُهم أنسابَهم ... وكذاك الحلم زينٌ للكرمْ

ومن المدح البليغ الموجز قول امرىء القيس :

وتعرف فيه من أبيه شمائلاً ... ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُرْ

سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاءَ ذا ... وتأمُّلَ ذا إذا صحا وإذا سكرْ

وكقول محمد بن بشير الخارجي :[2]

يا أيها المتمنيٍّ أن يكون فتىً ... مثلُ ابن زيدٍ لقد خليٌّ لك السبُلا

أعدد نظائرَ أخلاقٍ عددن له ... هل سُبٌّ من أحدٍ أو سَبٌّ أو بخلا

وكقول الآخر :

علَّم الغيث الندى حتى إذا ... ما حكاه علَّم البأسَ الأسدْ

فله الغيثُ مُقِرٌّ بالندى ... وله الليث مقر بالجلدْ

وكقول الآخر :

يامن نؤمل أن تكون خصالُهُ ... كخصال عبدالله أنصت واستمعْ

---

(١) في الديوان :

وبنو الريان لا يأتون لا ... وعلى ألسنتهم خفّت نعم .

(٢) محمود بن بشير الخارجي شاعر حجازي مطبوع من شعراء الدولة الاموية كان يقيم في بوادي المدينة ولا يكاد يحضر مع الناس .

فلأنصحنك في المشورة والذي حجّ الحجيج إليه فاقبلْ أوفدِ
أصدقْ وعفَّ وبَرَّ واصبر واحتمل واحلم وكفّ ودارِ واسمعْ واشّجِ

وكقولِ الآخر :

شبه الغيث فيه والليث والبد ر فسمحٌ ومحرِبٌ وجميل

فهذه أمثلة لأنواع التشبيهات التي وعدنا شرحها ، وفي كتاب « تهذيب الطبع » ما يسد الخلل الذي فيها ، ويأتي على ما أغفلنا وصفه والاستشهاد به من هذا الفن إن شاء الله تعالى .

الأشعار المحكمة وأضدادها

ونذكر الآن أمثلةً للأشعار المحكمة الرصف ، المستوفاة المعاني ، السلسة الألفاظ ، الحسنة الديباجة ، وأمثلة لأضدادها . وننبهُ على الخلل الواقع فيها ، ونذكر التي قد زادت قريحة قائليها فيها على عقولهم ، والأبيات التي أغرق قائلوها فيما ضمنوها من المعاني ، والأبيات التي قصروا فيها عن الغايات التي جروا إليها في الفنون التي وصفوها ، والقوافي القلقة في مواضعها ، والقوافي المتمكنة في مواقعها ، والألفاظ المستكرهة ، النافرة ، الشائنة للمعاني التي اشتملت عليها ، والمعاني المسترذلة الشائنة للألفاظ المشغولة بها . والأبيات الرائقة سماعا ، الواهية تحصيلاً ، والأبيات القبيحة نسجاً وعبارة ، العجيبة معنى وحكمة وإصابة .

سنن العرب وتقاليدها :

وأمثلة لسنن العرب المستعملة بينها ، التي لا تفهم معانيها إلا سماعاً ، كإمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلبَ بثأرها ، فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها . وفي هذا المعنى :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ   فليأت نسوتنا بوجه نهارِ[1]

(١) الأبيات للربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب العبسي ضمن ابيات اخرى اوردها ابو عبيدة في=

يجد النساء جواسراً يندبنه يلطمن أوجههن بالأسحار
قد كُنَّ يكْنُنَّ الوجوه تستُّراً فالآن حين برزن للنُّظَّار[1]

يقول : من كان مسروراً بمقتل مالك فليستدل ببكاء نسائنا وندبهن إياه على أنَّا قد أخذنا بثأرنا وقتلنا قاتله .

وككيِّهم ـ إذا أصاب إبلهم العَرُّ والجرب ـ السليمَ منها ليذهب العرُّ عن السقيم . وفي ذلك يقول النابغة متمثلاً :

يكلِّفني ذنب امرىء وتركته كذي العرُّ يُكوى غيره وهو راتع[2]

وكحكمهم إذا أحب الرجل منهم امرأةً وأحبته ، فلم يشقَّ برقعَها و (لم) تشق هي رداءه فإن حبهما يفسدُ ، وإذا فعلاه دام أمرُهما . وفي ذلك يقول عبد بني الحسحاس سحيم :

فكم قد شققنا من رداء محبَّرٍ ومن برقع عن طَفْلَةٍ غيرِ عانسِ
إذا شُقَّ برْد شُقَّ بالبرد مثله دواليك حتى كلنا غير لابِس

وكتعليقهم الحلي والجلاجل على السليم ليفيق . وفي ذلك يقول النابغة :

يسهدُ من ليل التمام سليمُها لحلى النساء في يديه قعاقع

ويقول رجل من عذرة :

كأني سليمٌ ناله كلْمُ حية ترى حوله حُلِيَّ النساء مُوضَّعا[3]

= النقائض اولها .

نام الخليُّ وما اغمِّض حارِ من سيء النبأ الجليل الساري .

(١) يكننَّ : يسترن ويخفين .

(٢) ذي العرّ : اي البعير الجرب .

راتع : يأكل لاهياً منعّماً .

(٣) كلْمُ : جرح .

وكفقئهم عين الفحل إذا بلغت إبلُ أحدهم ألفا ، فإن زادت عن الألف فقأوا العين الأخرى ، يقولون إن ذلك يدفع عنها الغارة والعين . وفي ذلك يقول قائلهم يشكر ربه على ما وهب له :

وَهَبْتَها وأنت ذو امتنان يفقأ فيها أعينَ البعرانِ

وقال بعض العرب ممن أدرك الإسلام يذكر أفعالهم :

وكان شكرُ القوم عند المنن كيٌّ الصحيحات وفقأ الأعينِ

وكسقيهم العاشق الماء على خرزة تسمى السلوان فيسلو ، ففي ذلك يقول القائل :

يا ليت أن لقلبي من يعلِّلُهُ أو ساقياً فسقاه اليوم سلوانا

وقال آخر :

شربت على سلوانةٍ ماءَ مزنةٍ فلا وجديدِ العيش يا مَيُّ ما أسلو[1]

وكإيقادهم خلف المسافر الذي لا يحبون رجوعه ناراً ، ويقولون : أبعده الله وأسحقه . وأوقد ناراً إثره . وفي ذلك يقول شاعرهم .

وذمة أقوام حملت ولم نكن لنوقد ناراً إثرهم للتندم

وكضربهم الثور إذا امتنعت البقر من الماء ، ويقولون إن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشراب . قال الأعشى :

فإنّي وما كلّفتموني وربُّكم ليعلمَ من أمسى أحقُّ وأحوبا[2]
لكالثورِ والجنيُّ يركبُ ظهرَهُ وما ذنبه أن عافت الماءَ مشربا
وما ذنبُه أن عافت الماء باقرٌ وما إن تعافُ الماء إلا ليُضربا

---

(١) المزنة : المطر الخفيف .

(٢) أحوبا : صار الى الاثم .

وقال نهشل بن حري :

أتُتْرَكُ عـــامرٌ وبنـــو عديٍّ وتغـــرمُ دارمٌ وهـــم براءُ
كذاك الثـــور يُضـــرب بالهراوي إذا ما عافـــت البقـــر الظماءُ

وكزعمهم أن المِقْلات ـ وهي التي لا يبقى لها ولدٌ ـ إذا وطئت قتيلا شريفاً بقي ولدها . وفي ذلك يقول القائل :

تظـــل مقـــاليتُ النســـاء يطأنه يقلن ألا يُلقـــى علـــى المـــرء مئزرُ

وقال الكميت :

وتظـــل المـــؤزراتُ المقاليتُ يطلن القعـــودَ بعـــد القيامِ

وإنما يفعل النساء ذلك بالشريف إذا كان مقتولاً غدراً أو قوة .

وكزعمهم أن الرجل إذا خَدرت رجله فذكر (أحب الناس إليه) ذهب عنه الخدر .

وقال كثير :

إذا خدرت رجلـــي ذكرتُـــكِ أشتفي بذكرِكِ من خَدَرٍ بهـــا فيهونُ

وقالت امرأة من بني بكر بن كلاب :

صبٌّ محـــبٌّ إذا ما رجلـــه خدرت نادى كُنَيْســـة حتـــى يذهـــبَ الخدرُ

وكحذف الصبي منهم سِنَّه إذا سقطت في عين الشمس ، وقوله ، أبدليني بها أحسن منها ، وليجرِ في ظلمها إياتُك[1] .

سقتـــه إياة الشـــمس إلا لثاتَهُ أُسفَّ ولـــم يكمـــدْ عليه بإثمدِ[2]

وقال أبو دؤاد :

ألقـى عليه إياة الشمس أدرانا

---

(١) إياتك : حرارتك .

(٢) الاثمد : الكحل .

وزعم العرب أن الصبي إذا فعل ذلك لم تنبت أسنانه عوجاً ولا ثعلاً . وقال طرفة بن العبد في ذلك :

بدلتـــه الشـــمسُ من منبته بردأً أبيضَ مصقـــولَ الأشر[1]

وكزعمهم أن المهقوع[2] ـ وهو الفرس الذي به هقعة ـ وهي دائرة تكون بالفرس فيقال فرس مهقوع إذا ركبه رجل فعرق الفرس اغتلمت امرأتُه وطمحت الى غير بعلها . وقال بعض العرب لصاحب فرس مهقوع :

إذا عرق المهقـــوعُ بالمرءِ أنعظت حليلتـــه وازداد حَرًّا عجانُها[3]

فأجابه :

وقـد يركب المهقـوعَ من لستُ مثله وقـــد يركب المهقـــوعَ زوجُ حصانِ

كعقدهم السَّلع والعُشَرَ[4] في أذنـاب الثيران ؛ وإضرامهـم النيران فيهـا ، وإصعادهم إياها على تلك الحالة في جبل يستسقون بذلك ويدعون الله . وهذا إذا حبست السماء قطرها . وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصّلت الثقفي :

سنـــةٌ أزمـــةٌ تخيَّل بالنا س ترى للعضـــاهِ فيهـــا صريرا[5]

لاعَلَـــى كوكب نوء ولا ريح جنـــوب ولا ترى طحرورا[6]

ويسوقـون باقـــرِ السهـــل للطـور مهـــازيل خشية أن تبورا

سلْـــعُ ما ومثلُـــه عُشَـــرٌ ما عائـــلٌ وعالـــت البيقـــورا[7]

---

(١) الاشر : الاسنان الرقيقة المحددة .

(٢) المهقوع : كما ورد في لسان العرب :

« المقعة هي دائرة في وسط زور الفرس وهي دائرة الحزام ، ويُقال إن المهقوع لا يُسبق ابداً » .

(٣) انعظت : اي طمحت الى غير زوجها كي تساكنه .

(٤) السلع والعشر : ضربان من الشجر .

(٥) العضاه : كلُّ شجر له شوك .

(٦) طحرورا : قطعة من السحاب .

(٧) البيقورا : البقرة

أي أثقلت البقر بما حملت من السلع والعشر . وفي هذا المعنى للـورل الطائي :

لا درَّ درُّ رجـالٍ خاب سعيهُمُ   يستمطِـرُونَ لدى الأزمـات بالعُشَرِ
جاعـلٌ أنـت بيقـوراً مُسَلَّعةً   ذريعـةً لك بـين الله والمطر

وكزعمهم أن من ولد في القمر رجعت قلفته إلى وراء . فكان كالمختون . دخل امرؤ القيس على قيصر الحمام فرآه فقال فيه :

إنـي حلفـت يمينـاً غير كاذبةٍ   إنـك أقلفُ إلا ما جنـى القمرُ[1]
إذا طعنْـت به مالـت عمامَتُهُ   كمـا تجمـع تحـت الفلـكةِ الوبر

وكعقدهم خيطاً يسمونه « الرَّتم »[2] في غصن شجرة أو ساقهـا ، إذا سافـر أحدهم وتفقد ذلك الخيط عند رجوع المسافر منهم فإن وجده على حاله قضى بأن أهله لم تخنه ، وإن رآه قد حل حكم بأنها قد خانته . وأنشد في هذا المعنى :

هل ينفعنك اليوم أن همـت بهم   كثـرة ما توصـي وانعقـاد الرَّتَمْ

وفي معناه أيضاً :

خانتـه لمـا رأت شيبـاً بمفرقِهِ   وغـرو خلفهـا والعقـدُ الرَّتم

وقال الراجز :

به من الجـوى لمم وغـرَّهْ عقـدُ الرتم

وكزعمهم أن الرجل إذا أراد قرية فخاف وباءها فوقف على بابهـا قبـل أن

---

(١) اقلفُ : الذي لم يختن .
(٢) الرَّتم : هو شجر ، وكان الرجل اذا سافر عقد بعض اغصانه ببعض ، فإذا رجع من سفره واصابه على تلك الحال قال : لم تخني امرأتي ، وإن اصابه قد انحلّ قال : خانتني .

يدخل فعشَّر كما ينهق الحمار ، ثم دخلها لم يصبهُ وباؤها . وقال عروة بن الورد في ذلك ، وكان خرج مع أصحاب له إلى خيبر يمتارون[1] فخافوا وباءها ، فعشَّروا وأبى عروة أن يفعل ، فلما دخلوها وامتاروا وانصرفوا نحو بلادهم لم يبلغوا مكانهم إلا وعامتُهُم ميتٌ أو مريضٌ إلا عروة ، فقال :

لعمري لئن عشَّرتُ من خشية الرَّدى نهاقَ الحميرِ إنني لجزوعُ

فلاَ وألَت تلك النفوسُ ولا أتت على روضة الأجداد وهي جميع

وكزعمهم أن من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه الجن . وفي ذلك يقول الشاعر :

ولا ينفع التعشير إن حمَّ واقعٌ ولا دعدعٌ يغني ولا كعبُ أرنبِ

قال ابن الاعرابي : قلت لزيد بن كسوة : من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه جنات الحمّى وعمار الدار ؟ فقال إي والله وشيطان الحماط ، وجان العشيرة ، وغول القفر ، وكل الخوافي ، إي والله وتُطفأ عنه نيرانٌ السّعالي وتبوخ .

وكزعمهم إذا أرادت جنّيّةٌ صبيٌّ قومٍ فلم تقدر عليه ، من سن ثعلب أو سِنّ هرة ، وأشباه ذلك . فلما رجعت إلى صواحباتها ضرطا من ذلك قالت : كانت عليه نقرة ثعالب وهررة ، والحيض حيض السمرة ـ وحيض السمرة شيء يسيل من السمرة في حمرة دم الغزال ، فإذا يبس كان أسود فإذا ديف بالماء عاد أحمر كما كان ، ذلك يزابل صبيانهم . حين تلد المرأة تخطبه وجه الصبي ورأسه ، وتنقطوجه أمه ، تسميه نقطة الماء ، واسم هذا الخط « الدودم » فهذه الأشياء لا تفهم معانيها إلا سماعاً ، وربما كانت لها نظائرُ في أشعار المحدثين من وصف أشياء تعرض في حالات

---

(١) يمتارون : يشترون ويبتاعون حاجاتهم .

غامضة ، إذا لم تكن المعرفة بها متقدمة عسر استنباط معانيها واستبرد المسموع منها .

وكقول أبي تمام :

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب[1]

وكان القوم الذين وصفهم يتواعدون الجيش الذي كان بإزائهم بالقتال ، وأن ميعاد فنائهم وقت نضج التين والعنب » وكانت مدة ذلك قريبة في ذلك الوقت ، فلما ظفر بهم حَلَّى الطائي قولهم على جهة التقريع والشماتة ، ولولا ما ذهب إليه في هذا المعنى لكان ما أورده من أبرد الكلام وأغثه ، على أن قوله : « نضجت أعمارهم ، ليس بمستحسن ولا مقبول » .

الأبيات المتفاوتةُ النسجِ

فأما هذه الأبياتُ المستكرهةُ الألفاظ المتفاوتة النسجِ ، القبيحة العبارة ، التي يجب الاحتراز من مثلها فيقول الأعشى :

أفي الطوفِ خفت عليَّ الردى وكم من رد أهله لم يرمْ

يريد لم يرم أهله .

وكقول الراعي :

فلما أتاها حبترٌ بسلاحه مضى غير مبهور ومنصلُهُ انتضى

يريد : وانتضى منصله .

وكقول عروة بن أذينة :

واسقِ العدوّ بكأسه واعلم له بالغيب أن قد كان قبل سقاكَها

واجزِ الكرامةَ من ترى أن لو له يوماً بذلت كرامة لجزاكها

---

(١) أساد الشرى : اساد . ج : أَسَدٌ والشرى : القوية ذات البطش الشديد .

فقوله في البيت الأول : « وأعلم له بالغيب » كلام غث و «له» رديئة الموقع بشعة المسمع ، والبيت الثاني كان مخرجُهُ أن يقول : واجز الكرامة من ترى ، أن لو بذلت له يوماً كرامة لجزاكها .

كقوله أيضاً :

وأعملت المطيةُ في التصابي رهيصَ الخف داميةَ الأظلِّ[1]
أقول لها لهان عليَّ فيما أحبُّ فما اشتكاؤكِ أن تكلِّي

يريد : أقول لهان عليَّ فيما أحب أن تكلِّي فما اشتكاؤك ؟

وكقول النابغة :

يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم من الضاريات بالدماء الذوارب

يريد من الضاريات الذوارب بالدماء ، وإنما يصح مثل هذا إذا التبس بما قبله ، لأن الدماء جمع والذوارب جمع ، ولو كان من الضاريات بالدم الذوارب لم يلتبس ، وإن كانت هذه الكلمة حاجزة بين الكلمتين ، أعني بين الضاريات والذوارب اللتين يجب ان تقرنا معاً .

وكقول النابغة أيضاً :

يثرن الثرى حتى يباشرن برده إذا الشمسُ مجَّتْ ريقهَا بالكلاكلِ[2]

وكقول الشماخ :

تخامضُ عن برد الوشاح إذا مشت تخامُصَ حافي الخيل في الأمعز الوجى[3]

---

(١) الأظلّ : الخاصرة .
رهيص : ألمٌ في الخفّ .

(٢) الكلاكل : الصدور .

(٣) تخامصُ : نوع من السير ترفع فيه الخيل حوافرها لصعوبة الارض .
الأمعز الوجى : الامعز : المكان الغليظ الذي فيه صلابة وحجارة .
الوجى : الحفيّ .

يريد : تخامص حافي الخيل الوجى في الأمعز .

وكقول النابغة الجعدي :

وشمـولٍ قهـوةٍ بكارتُها في التبـاشير من الصُبْـح الأول

يريد : في التباشير الأول من الصبح .

وكقول ذي الرمة :

كأن اصـواتَ من إيغالهـنّ بنا أواخـرُ الميسِ أصـواتُ الفرارِيجِ[١]

يريد : كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا . وكقوله أيضاً :

البُـرْدَ عنـه وهـو من ذو جنونه أجـاري تسهـالٍ وصـوت صلاصل[٢]

يريد : وهو من جنونه ذو أجاري

وكقول عمرو بن قميئة[٤] .

لمـا رأت سانيد مـا استعبرت لله درّ اليوم من لامـها

يريد : لله در من لامها اليوم .

---

(١) الميس : شجر تُتخذ منه الرّحال .

(٢) البُرْدَ : من الثياب وجمعه برود .

أجاري : اي الجري .

تسهاك : عدو شديد .

(٣) عمرو بن قميئة شاعر جاهلي من بني ثعلبة بن بكر بن وائل ، عاصر امرأ القيس وصاحبه في رحلته الى القسطنطينية . حياته غامضة ـ وتاريخه مجهول .

وكقول أبي حية النميري[1] :

كمـا خُطَّ الكتـابُ بكفّ يوماً يهـوديٌ يقـاربُ أو يزيل

يريد : كما خُطَّ الكتاب يوما بكف يهودي يقارب أو يزيل .

وكقول امرأة من قيس :

لهـا أخـوا في الحـرب من لا أخـا له إذا خاف يومـا نبـوةً ودعاهما[2]

وكقول الفرزدق :

ومـا مثلـه في النـاس إلا مُملَّكاً أبـو أمـه حيٌ أبـوه يقاربه

فهذا هو الكلام الغث المستكرهُ الغلق ، وكذلك ما نقدمه ، فلا تجعلن هذا حجة ولتجتنب ما أشبهه .

والذي يُحتملُ فيه بعضُ هذا إذا ورد في الشعر هو ما يضطر إليه الشاعرُ عند اقتصاص خبرٍ أو حكايةِ كلام إن أزيل عن جهته لم يجز ، ولم يكن صدقاً ولا يكون للشاعر معه اختيار ، لأن الكلام يملكه حينئذ فيحتاج إلى اتباعه والانقياد له ، فأما ما يمكن الشاعر فيه من تصريف القـول وتهـذيب الألفـاظ واختصارهـا وتسـهيل مخارجها ، فلا عذر له عند الإتيان بمثل ما وصفناه من هذه الأبيات المتقدمة .

وعلى الشاعر إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعر دبرهُ تدبيراً يسلس له معه القول ويطرد فيه المعنى . فبنى شعره على وزن يحتمل أن يُحشى بما يحتاج إلى اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلطُ به ، أو نقص يحـذفُ منـه . وتـكون الـزيادة

---

(١) ابي حيّة النميري : اسمه الهيثم بن الربيع من قيس عيلان شاعر من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية توفي سنة ١٦٠ هـ .

(٢) نبوة : الجفوة .

والنقصان بسَيْرَيسن غير مخدّجين[1] ؛ لما يستعان فيه بهما وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه ، بل تكون مؤيدة له ، وزائدة في رونقه وحسنه . كقول الأعشى فيما اقتصَّهُ من خبر السموأل :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفلٍ كرهاء الليل جرار[2]
بالأبلقِ الفرد من تيماء منزله ... حصنٌ حصين وجارٌ غير غدَّارَ
إذْ سامهُ خطّتي خسفٍ فقال له ... أعرض عليَّ كذا أسمعهما حار
فقال : غدرٌ وثكلٌ أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظٌّ لمختار
فشكٌ غير قليل ثم قال له : ... اقتل أسيرك إني مانعٌ جاري
فإنّ له خَلَفاً إن كنت قاتلهُ ... وإن قتلتَ كريماً غير غوَّار
مالاً كثيراً وعرضاً غير ذي دنسٍ ... وأخوةٍ مثله ليسوا بأشرار
جروا على أدبٍ مني فلا نزقٌ ... ولا إذا شمَّر حربٌ بأغمار[3]
وسوف يُخلفُه إن كنت قاتله ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذات أطهارِ
لا سرُّهن لدينا ضائعٌ مذقٌ ... وكاتماتٍ إذا استودعن أسراري
فقال تقدمةً إذ قام يقتله : ... أشرف سموأل فانظر للدم الجاري
أأقتلُ ابنك صبراً أو تجيء بها ... طَوْعاً فأنكر هذا أي انكار
فشك أو داجه والصدرُ في مضضٍ ... عليه منطوياً كاللذعِ بالنار
واختار أدرعه أن لا يسبَّ بها ... ولم يكن عهده فيها بختار[4]
وقال : لا أشتري عاراً بمكرمةٍ ... فاختارَ مكرمةُ الدنيا على العار
والصبر منه قديماً ، شيمةٌ خُلُقٌ ... وزنده في الوفاء الثاقب الواري

---

(١) مخدّجين : الخدج : القاء الناقة ولدها قبل تمام الايام . المعنى هنا ناقصين .
(٢) جحفلٍ : جيش .
(٣) بأغمار : بذوي تجربة .
(٤) يسبّ : اي يلحقه العار منها .
ختّار : غدّار

فانظر إلى استواء هذا الكلام ، وسهولة مخرجه ، وتمام معانيه وصدق الحكاية فيه ، ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له من غير حشد مجتلب ولا خلل شائن . وتأمل لطف الأعشى فيما حكاه واختصره في قوله : « أأقتل ابنك صبراً أو تجيء بها ، فأضمر ضمير الهاء في قوله : واختار أدراعه أن لا يسب بها ، فتلافى ذلك الخلل بهذا الشرح ، فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها ، ولاشتمالها على الخبر كله بأوجز كلام ، وأبلغ حكاية وأحسن تأليف ، وألطف إيماءة .

الأبيات التي اغرق قائلوها في معانيها

فأما الأبياتُ التي أغرق قائلوها في معانيها فكقول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء نجدةً وتكرُّماً ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا[١]

وكقول الطرماح[٢] :

لو كان يُخفَى على الرحمن خافية ... من خلقه خفيتْ عنه بنو أسد

قومٌ أقامَ بدار الذُّل أوّلهُم ... كما أقامت عليه جِذمة الوتد[٣]

وقوله :

ولو أنَّ حرقوصاً يزقّ مكةً ... إذا نهلت منه تميم وعلَّت[٤]

ولو أنّ برغوثاً على ظهرِ نملةٍ ... يكرُّ على صَفَّيْ تميمٍ لولَّت

ولو جَمَعَتْ عُليا تميمٍ جموعَها ... على ذرَّةٍ معقولةٍ لاستقلَّت

ولو أنّ أمّ العنكبوتِ بنت لهم ... مظلّتها يوم الندى لاستظلتِ

(١) قال ابن قتيبة إن النابغة الجعدي جاء رسول الله (ص) وانشده هذا البيت فقال رسول الله (ص) إن شاء الله .

(٢) الطرماح بن حكيم من شعراء الدولة الاموية عاش بالشام ، وانتقل الى الكوفة ، اعتنق مذهب الازارقة وكان يكثر من الغريب في شعره . (الشعر والشعراء ، الاغاني ، خزانة الادب) .

(٣) جذمة الوتد : اصلُه .

(٤) علَّت : شربت .

وكقول زهير :

أو كان يقعدُ فوق الشمسِ من كرمٍ ... قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا

وكقول أبي الطمحان القيني :

أضاءت لهم أحسابهُم ووجوهُهُم ... دجَى الليل حتى نظَّم الجزْع ثاقبه

أو كقول امرىء القيس :

من القاصرات الطرفِ لو دبَّ محولٌ ... من الذرِّ فوق الإتبِ منها لأثَّرا[1]

وكقول قيس بن الخطيم :

طعنتُ ابن عبد القيس طعنةَ ثائرٍ ... لها نفذٌ لولا الشعاعُ أضاءها

ملكت بها كفّي فأنهرتُ فتقَها ... يُرى قائمٌ من دونها ما وراءها

وقول الآخر :

ضربته في الملتقى ضربةً ... فزال عن منكبه الكاهلُ

فصار ما بينهما رهوةً ... يمشي بها الرامح والنابلُ[2]

وقول أبي وجزة السعدي :[3]

ألا عللاني والمعللُ أروَحُ ... وينطق ما شاح اللسان المسرحُ

بإجَّانة لو أنه خرَّ بازلٌ ... من البُخْت فيها ظل للشقِّ يسبح[4]

---

(١) الذرّ : النمل الصغير .
الإتب : الجلد .

(٢) الرهوة : الجوبة تكون في محلة القوم يسيل فيها ماء المطر وغيره .

(٣) أبو وجزة السعدي : هو يزيد بن ابي عبيد من بني بكر هوزان . كان شاعراً وراوية للحديث . توفي بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٤) بإجّانة : الماء المتغير الطعم واللون .
بازلٌ : الجمل في تاسع سنيْه .
البُخت : الابل الخراسانية .

وكقول النابغة :

وإنـك كالليل الـذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنـك واسعُ
خطـاطيف حُجْنٍ في حبـال متينة ... تمـد بهـا أيدٍ إليك نوازع

وإنما قال : « كالليل الذي هو مدركي » ولم يقل : كالصبح ، لأنه وصفه في حال سخطه ، فشبهه بالليل وهوله ، فهي كلمة جامعة لمعان كثيرة .

ومثله للفرزدق :

لقد خفت حتى لو رأى الموت مقبلا ... ليأخذنـي والموت يكره زائرُهْ
لكان من الحجـاج أهـونُ روعةً ... إذا هو أغفـى وهـو سام نواظره

فانظر إلى لطفه في قوله : « إذا هو أغفى » ليكون أشد مبالغة في الوصف إذا وصفه عند إغفاله بالموت ، فما ظنك به ناظراً متأملاً يقظاً ؟ ثم نزهه عن الإغفاء فقال : « وهو سام نواظره » .

وكقول جرير :

ولـو وُضِعـتْ فِقـاح بنـي نمير ... علـى خبـث الحـديد إذاً لذابا[1]
إذا غضبـت عليك بنـو تميم ... حسبـت النـاس كلَّهُـمُ غضاباً

وقد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها .

وقال أبو نواس :

وأخَفْـتَ أهـل الشـرك حتـى أنه ... لتخافـك النـطفُ التـي لم تُخلقِ

---

(١) فقاح : الفقحة حلقة الدبر او واسعها .

وقال بكر بن النطاح :

لو صال من غضبٍ أبو دُلَفٍ على بيض السيوف لذُبْنَ في الأغماد

قال :

قالوا وينظمُ فارسين بطعنه يوم الهياج ولا يراه جليلا
لا تعجبوا فلو أن طول قناته ميلٌ إذاً نظم الفوارس ميلا

قال : فمن الأشعار المحكمة المتقنةِ المستوفاةِ المعاني ، الحسنةِ الرصف ، السلسلةِ الألفاظ ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً ، فلا استكراه في قوافيها ، ولا تكلف في معانيها ، ولا داعيّ لأصحابها فيها قول زهير :

سئمت تكاليفَ الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأمِ
رأيت المنايا خبط عشواء من تصِبْ تُمِتْهُ ومن تخْطىءْ يعمَّر فيهرم
ومن لا يصانعْ في أمور كثيرة يضرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم[1]
وأعلَمُ ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عم
ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه يفِرْهُ ومن لا يتقِ الشتمَ يُشتمِ
ومن يكُ ذا فضل فيبخل بفضلهِ على قومه يستغنَ عنه ويذمم
ومن يوفِ لا يذمم ومن يفض قلبُه إلى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن يعصَ أطراف الزّجاج فإنه يطيع العوالي رُكِّبت كلَّ لهذم[2]
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يُهَدَّمْ ومن لا يظلمِ الناسَ يظلم
ومن يغتربْ يحسبْ عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يُكرَّمِ

---

(١) منسمِ : خفُّ البعير .
(٢) لهذمِ : اللهذم من الاسنّة . كلُّ قاطع .
لهذمة : اي قطعة .

كقوله :

هنالك إن يُسْتَخْبَلُوا المال يخبلُوا ... وأن يُسألُوا يعطوا وأن ييسروا يغلوا[1]

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجُوهُهم ... وأنديةٌ ينتابها القول والفعلُ

على مُكْثِريهم حقٌّ من يعترِيهم ... وعند المقلين السماحة والبذْلُ

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم ... مجالسَ قد يشفى بأحلامها الجَهْلُ

وإن قام منهم حامل قال قاعدٌ ... شُكِرْتَ فلا غرمٌ عليك ولا خذلُ

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهُم ... فلم يفعلوا ولم يكتموا ولم يألوا

وما يَكُ من خير أتوه فإنما ... توارثه آباءُ آبائهم قَبْلُ

وهل ينبت الخطِّي إلا وشيجه ... وتُغرس إلا في منابتها النخلُ[2]

وكقول أبي ذؤيب[3] :

أَمِنَ المنونِ وريبِها تتوجع ... والدهر ليس بمعْتب من يَجْزعُ

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفعُ

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتها ... وإذا تردُّ إلى قليل تقنعُ

وكقول أبي قيس بن الأسلت[4] :

---

(١) يستخبلوا : الاستخبال أن يستعير الرجل من الرجل زمن الشدة إبلاً فيشرب البانها وينتفع بأوبارها ، وما تلده في عام . فاذا أيسر ردّها .
ييسروا : من الميسر .

(٢) وشيجهُ : اي شجره الذي يصنع منه الرماح .

(٣) ابو ذؤيب الهذلي : خويلد بن خالد بن محرث بن مخزوم ، شاعر فحلٌ من مخضرمي الجاهلية والاسلام توفي سنة ٧٢ هـ .
(ابن سلام ١٠٢ ـ ١١٠) (الشعر والشعراء ٦٣٥)
(الاغاني ج ٦ ٥٦ ـ ٦٢)
الخزانة (١ / ٢٩١)

(٤) ابو قيس بن الاسلت ، والاسلت لقب ابيه . واسمه عامر بن جشم احد شعراء الأوس ورؤسائها في الجاهلية . اسلم وقُتل يوم القادسية . (الاغاني ١٥ / ١٥٤ ـ ١٦٠)

قالت ولم تقصد لقيل الخنا ... مهلاً فقد أبلغت أسماعي[1]

واستنكرت لوناً له شاحباً ... والحربُ غولٌ ذاتُ أوجاعِ

من يذقِ الحربَ يجدْ طَعْمَها ... مُراً وتُبْرِكُه بجعْجاع[2]

قد حصَّت البيضةُ رأسي فما ... أطعم نوماً غير تهجاعِ

أسعى على جُلِّ بني مالكٍ ... كُلُّ امرىءٍ في شأنه ساعِ

أعددت للأعداء فضفاضةً ... موضونةً كالنهيِ بالقاعِ[3]

أحفزّها عنّي بذي رونقٍ ... أبيض مثل الملْحِ قطَّاع

صدقٍ حسامٍ وادقٍ حدُّه ... ومارنٍ أسمر قرَّاعِ

بزِّ امرىءٍ مستبسلٍ حاذرٍ ... للدهر جلدٍ غير مِجْزَاع

الكيسُ والقوةُ خير من الإ ... دهان والفكة والهَاعِ[4]

ليس قطاً مثل قطيٍّ ولا المـ ... ـرعيُّ في الأقوامِ كالراعي[5]

لا نألمُ القتلَ ونجزي به الأ ... عداء كيل الصاع بالصاعِ

بين يدي رجراجةٍ فخمةٍ ... ذات عرانين ودُفَّاع[6]

كأنهم أسد لدى أشبُلٍ ... تهْتزُّ في غيلٍ وأجْزاع[7]

---

(١) الخنا : الفحش .

(٢) جعجاع : أتعاب واوجاع .

(٣) الموضونة : الدرع المنسوجة .

(٤) الادهان : المنافقة .

الفكة : الضعف .

الهاع : شدّة الحرص .

(٥) قطاً مثل قطّي : اي ليس الكثير كالقليل .

(٦) رجراجة : كتيبة مثقلة بالسلاح .

عرانين : رؤساء وقوّاد .

دفّاع : مدافعون .

(٧) غيل : اجمة .

اجزاع : ج . جزع . وهو الجانب .

هلاَّ سألت القوم إذْ قَلَّصتْ ... ما كان إبطائي وإسراعي[1]
هلْ أبذلُ المال على حقِّهِ ... فيهم وآبى دعوة الداعي
وأضربُ القونس يوم الوغى ... بالسيف لم يقصر به باعي[2]

وكقول النمر بن تولب :

لعمري لقد أنكرت نفسي ورابني ... مع الشيب أبدالي التي أتبدَّلُ
فصولٌ أراها في أديمي بعد ما ... يكون كفافُ اللحمِ أو هو أجْمَلُ
كأنَّ محطًّا في يدَيْ حارثيةٍ ... صناعٌ علت به الجِلْدَ مِنْ عَلُ
تداركَ ما قبل الشبابِ وبَعده ... حوادثُ أيام تَمُرُّ وأغْفُلُ
يودُّ الفتى طولَ السلامة جاهداً ... فكيف ترى طول السلامة يفعَلُ

وكقول عنترة :

إني امرؤٌ من خير عبسٍ منصباً ... شطري وأحمي سائري بالمنصلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمت وتلاحظت ... أُلفيت خيراً من مُعمٍّ مُخْولِ[3]
والخيل تعلمُ والفوارسُ أنني ... فرقت جمعَهم بضربة فَيْصَلِ
إذ لا أبادرُ في المضيقِ فوارسي ... أو لا أوكِّلُ بالرعيل الأوَّلِ
إن يلحقوا أكْرُرْ ، وإن يستلحموا ... أشدد ، وإن يلفوا بضنكٍ أنزل
حين النزول يكون غايةُ مثلنا ... ويفرّ كلُّ مضللٍ مستوهِلِ[4]
ولقد أبيتِ على الطوى وأظلُّه ... حتى أنال به كريمَ المأكلِ[5]
بكرت تخوفَني الحتُوفَ كأنّني ... أصبحت عن غرض الحتوفِ بمعزل

---

(١) قلصَّتْ : اي خصيت .
(٢) القونس : عظم تحت ناصية الفرس .
(٣) مُعمٌّ مُخْولِ : من ينتسب الى عمّ او خال .
(٤) مستوهل : اي خائف مستعصب .
(٥) الطوى : الجوع .

فأجبتها : إن المنية منهلٌ ... لا بُدَّ أن أُسقى بذاك المنهلِ
إن المنية لو تُمثَّلُ مُثِّلَتْ ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزلِ
والخيل ساهمةُ الوجوهِ كأنما ... تسقي فوارِسها نقيعَ الحَنْظلِ

وكقول الأسود بن يعفر[1] :

ماذا أؤملُ بعد آل محرِّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد إيادِ
أرض تخيرها لطيب مقيلها ... كعبُ بنُ مامة وابنُ أم دؤاد
جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ ... في ظلِّ ملكٍ ثابتِ الأوتادِ
إمَّا تريني قد بليت وغاضني ... ما نيل من بصري ومن أجلادي
وعصيت أصحاب اللذاذة والصبا ... وأطعت عاذلتي وذلَّ قيادي
فلقد أروح إلى التجار مرجَّلاً ... مذلاً بمالي ليناً أجيادي

وكقول الخنساء :

لو أن للدهر مالا كان مُتْلِدَهُ ... لكان للدهر صخرٌ مالَ قُنْيان[2]
آبي النصيحةِ حمالُ العظيمةِ متلا ... فُ الكريمةِ لا سقطٍ ولا وَان
حامي الحقيقةِ نسّالُ الوديقةِ ... مِعتاقُ الوثيقةِ جلدٌ غيرُ ثُنيان[3]
ربّاءُ مرقبةٍ ، مناعُ مغلقةٍ ... ورّاد مشربةٍ ، قطاع أقرانِ

---

(١) الاسود بن يعفر : ابن عبد الاسود بن جندل بن نهشل كان شاعراً فحلاً من فحول الجاهلية (ابن سلام ١٩٩) .
(٢) متلده : من التليد اي المال القديم .
قنيان : اي مقتنى .
(٣) نسّالُ الوديقة : اي ينسلُ وقت الظهيرة
معتاق : كثير العتق .
ثنيان : اي لا ينثني عن امر حتى يدركه .

يعـطيك مالا تكاد النفسُ تبذُله ... من التـلادِ وهـوبٌ غيرُ منّان[1]

شهَّـاد أنجيةٍ ، حمَّـالُ ألوية ... هبَّـاط أوديةٍ ، سرحـان قيعان[2]

التـاركُ القـرنِ مخضوبـاً أناملُهُ ... كأن في ريطتيه نضـخُ أرْقانِ[3]

وكقول القطامي :

والعيش لا عيشَ إلا ما تقـرُّ به ... عينـاً ولا حالَ إلا سوفَ تَنْتقِلِ

والنـاسُ من يلـقَ خيراً قائلـون له ... ما يشتهـي ولأم المخطـىء الهبلُ[4]

قد يدرك المتأنّـي بعضَ حاجتِهِ ... وقـد يكون من المستعجـلِ الزلَلُ

وفيها يقول :

يمشين رهـواً فلا الأعجـازُ خاذلةٌ ... ولا الصـدورُ علـى الأعجـاز تتكِلُ

فهـن معترضـات والحصـى رِمضٌ ... والـريحُ ساكنـة والظِـلُّ مُعتدلُ

يتبعـن ساميةَ العينين تحسبُها ... مجنونـة أو ترى ما لا ترى الإبلُ

إن ترجعـي من أبـي عثمـان منجحةً ... فقـد يهـون مع المستنجـح العَملُ

أهـلُ المدينـةِ لا يحزنك شأنهُمُ ... إذا تَخَطَّـأ عبـدَ الواحِـد الأجَلُ

وكقوله أيضاً :

يقتلَنـا بحـديثٍ ليس يعلمه ... من يتقين ولا مكتومـهُ بادي

فهـن ينبـذن من قولٍ يصبْـن به ... مواقِعَ المـاء من ذي الغُلّـة الصادي[5]

من مبلـغٌ زفَـرَ القيسـيَّ مدحتَه ... من القطامِـيِّ قولاً غير أفنادِ

---

(١) التلاد : المال القديم .

(٢) سرحان : ذئب .

(٣) ريطتيه : الريطة ثوب ذو قطعتين .

ارقان : الزعفران والحنّاء .

(٤) الهبلُ : الثكل .

(٥) الصادي : العطشان .

إنـي وإن كان قومـي ليس بينهُمُ وبَيْنَ قومِـك إلا ضَربـةَ الهادي[1]
مثـنٍ عليك فمـا استيقنـت معرفتي وقـد تعـرَّض منـي مقتـلٌ بادي
فلن أُثيبَك بالنعمـاء مشتمةً ولن أبـدِّل إحسانـاً بإفسادِ
فإن هجوتـك ما تمـت سكارمتي وإن مدحـتُ لقـد أحسنـت إصْفادي
وإن قدرت على يوم جزيت به والله يجعـل أقْوامـاً بمرصادِ
أبلـغْ ربيعـةَ أعلاهـا وأسفلها أنَّـا وقيسـاً توَاعدنـا لميعادِ
نقريهـم لهـذميات نقُـدُّ بِها ما كان خاط عليهـم كلُّ زرَّادِ[2]

وكقول ذي الرمة :

من آل أبـي موسـى ترى القـومَ حوله كأنهـم الـكراونُ أبصـرن بازياً
فمـا يغربـون الضّحـكَ إلا تبسماً ولا ينبسون القـولَ إلاًّ تناجيا
لدى ملكٍ يعلـو الرجـالَ بضوئه كمـا يبهـر البـدرُ النجـوم السواريا
إذا أمسـت الشِّعـرى العبـور كأنها مهـاةٌ علـت من رمْـل يبـرين رابيا
فمـا مرتـع الجيران إلا جفانكم تبـارَوْنَ أنتـم والشمـالُ تبارِيا[3]

وكقول سلاَّمةَ بن جندل[4] :

سَوَّى الثِّقَافُ قناهـا فهِـي محكمةٌ قليلـة الـزْيع من سَنٍّ وتركيبِ[5]
كأنهـا بأكفِّ القـوم إذا لَحِقُوا مواتِـحُ البئـر أو أشطـانُ مطلوبِ[6]

---

(١) الهادي : نصلة السهم .
(٢) نقدُّ : نقطع
زرّادِ : من الزرد وهي هنا الدرع التي تُصنع من حديد مزرَّد .
اللهذميات : السنان القاطعة
(٣) الجفان : القصع التي توضع فيها الاطعمة .
(٤) سلامة بن جندل من شعراء الجاهلية ذكره ابن سلاّم في الطبقة السابعة (طبقات الشعراء ١٣١)
(٥) الثقاف : خشبة قوية تسوِّى بها الرماح .
(٦) اشطان : حبال .

كُنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فزعٌ ... كان الصراخُ له قرعَ الظَّنابيب
وشَدٌّ كورٍ على وجناءَ ناجيةٍ ... وشَدٌّ لبدٍ على جرداء سرحوب[1]

وكقول المغيرة بن حبناء :

فإن يكُ عاراً ما لقيت فربما ... أتى المرء يومُ السوءِ من حيث لا يدري
ولم أرَ ذا عيش يدُومُ ولا أرى ... زمان الغنى إلا قريباً منَ الفقر
ومن يفتقرْ يعلمْ مكان صديقِهِ ... ومن يحيى لا يعدم بلاءَ من الدَّهرِ
وإني لأستحيي إذا كنت معسِراً ... صديقي والخلانَ أن يعلموا عُسْري
وأهجر خلاني وما خان عهدهم ... حياءً وإكراماً وما بي من كِبر
وأكرم نفسي أن ترى بي حاجةٌ ... إلى أحدٍ دوني وإن كان ذا وفر
ولما رأيتُ المالَ قد حيل دونه ... وصُدَّتْ وجوهٌ دون أرحامها البترُ[2]
جعلتُ حليفَ النفس عَصْباً ونثرةً ... وأزرقَ مشحوذاً كحافية النسرِ
ولا خيْرَ في عيشٍ امرىءٍ لا ترى له ... وظيفة حق في ثناء وفي أجر

وكقول الفرزدق :

ولو أن قوماً قاتلوا الدَّهر قبلنا ... بشيء لقاتلنا المنية عن بشر
ولكن فجعنا و الرَّزيئَةُ مثله ... بأبيضَ ميمونِ النقيبةِ والأمرِ
أغرُّ أبو العاصي أبوه كأنما ... تفرجت الأثوابُ عن قمر بدْرِ
فإلا تكُن هندٌ بكته فقد بكت ... عليه الثريا في كواكبها الزُّهْرِ
وإنَّ أبا مروانَ بِشْرٌ أخاكُمُ ... ثوى غير متبوع بذمٍ ولا غدْرِ
وما أحدٌ ذا فاقةٍ كان مثلنا ... إليه ولكن لا تقيةَ للدهْرِ

---

(١) الكور : الرحلُ بأداته
الوجناء : الناقة . سرحوب : فرس طويلة جرداء الشعر
(٢) في البيت إقواء .

ألــم تَرَ أن الأرض هُدَّت جبالُها / وأن نجـومَ الليل بعـدك لا تسري
ضربـت ولـم أظْلـم لبشـرٍ بصارمٍ / شوى فرسٍ بين الجنـازة والقبر
أغـرَّ صريحياً فلا أعـوجَّ أمته / طويلاً أمرَّتـه الجياد علـى شَزْرِ[1]
ألسـت شحيحـاً إن ركبتـك بعده / ليوم رهـانٍ لو غدوت معـي تجري

وقال يرثي بنيه :

ولـو كان البـكاءُ يردُّ شيئاً / على البـاكي بكيت علـى صقوري
بنـيّ أصابهُـمُ قدرُ المنايا / ومـا منهـن من أحـد مجيري
ولـو كانـوا بنـي جبـلٍ فمانوا / لأمسـي وهـو مختشـعُ الصُّخور
إذا حنّـت نوارُ تهيجُ منّي / حرارة مثـل ملتهـب السَّعيرِ
حنين الـوالهين إذا ذكرنا / فؤادينـا اللـذين مع القبور
كأنَّ تشـرُّبُ العبـراتِ منها / هراقـةُ شنتين علـى بَعيرِ[2]
كأن الليل يحبسـه علينا / ضيرارٌ أو يكرُّ إلـى نذورِ
كأنَّ نجومَـهُ شولٌ تثنّى / لأدهم في مباركهـا عقيرِ[3]

وكقوله :

ومحفـورةٍ لا ماءَ فيهـا مهيبةٍ / لغمِّـي بأعـواد المنية بابُها
أنـاخ إليهـا أبْنـاي ضيفـي مقامة / إلـى عصبـة لا تُستعـارُ ثوابُها

---

(١) أمته : من الامت وهو المكان المرتفع .
الشزر : النظر بطرف العين في غضب .وهو في الديوان :
أغـرَّ صريحـيٌّ أبـوه وامّه / طويلاً أمرتـه الجياد على شزر
والصريحي : الخالص النسب .
(٢) شنّين : الشنّ : القربة الخلق الصغيرة .
(٣) شولٌ : شالت بذنبها اي حركته ورفعته
عقير : لا يُولَد له

وكانـوا هم المـال الـذي لا أبيعُهُ ودرعـي إذا ما الحـربُ هرّت كلابُها

وكم قاتـلٍ للجـوع قد كان فيهمُ ومـن حيةٍ قد كان سماً لُعابها

إذا ذكرت أسماؤهـم أو دعوتُهم تكاد حيازيمـي تفـرُّ صلابُها

وإنـي وأشرافـي عليهـم ومـا أرى كنفسـي إذ هم في فؤادي لبابُها

كراكز أرمـاحٍ تجزّعـنَ بعـد ما أقيمـت عواليهـا وَشُـدّت حرابُها

إذا ذكرتْ عينـي الـذين هُم لها قذىً هيجَ منـي بالبـكاءِ انسكابُها

بنـو الأرض قد كانـوا بنـيَّ فعزّني عليهـم بآجـالِ المنـايا كتابُها

وداعٍ علـيَّ اللهُ لو متُّ قد رأى بدعوتـه ما يتقـي لو يُجَابُها

ومـن متمَـنٍّ أن أمـوت وقـد بنت حياتـي له شمّـا عظامـاً قبابُها

بقيت وأبقـت من قناتـي مصيبتي عَشوْزَنـةً زوراءَ صُمًّـا كعابُها[1]

علـى حدث لو أن سلمـى أصابها بمثـل بنـيٍّ انفضَّ عنهـا هضابُها[2]

وما زلت أرمي الحرب حتى تركتها كسير الجنـاح ما تُدقُّ عقابُها

وكقول الراعي :

وإنـي وإياك والشـكوى التـي قصرت خطوي ونـأيك والوجـد الـذي أجدُ

لكالمـاءِ والظالـعِ الصـديان يطلُبه هو الشفـاء له والـريُّ لو يردُ

ضافي العـطية راجيه وسائلُه سيان أفلـح من يعطـي ومـن يعدُ

أزرى بأموالنـا قوم أمَرْتُهُم بالحـق فينـا فمـا أبقـوا ومـا قصدوا

---

(١) عشوزنة : العسر الملتوي من كل شيء . الشديد الخَلق .. الصنب .
كعابها : عظامها .

(٢) انفضّ هضابها : اي فارقت شدّتها وصلابتها .

أمـا الفقير الـذي كانـت حلوبته وفـق العيال فلـم يتـرك له سبدُ[1]
واختـل ذو الوفـر والمثرون قد بقيت علا التلاتـلَ من أموالهـم عُقَدُ
فإن رفعـت بهـم رأسـاً نعشتهُم وإن لقـوا مثلهـا في قابـلٍ فسدوا

وكقول أبي النجم العجلي[2] :

والخيل تسبـحُ بالكمـاةِ كأنها طيرٌ نمطـر من ظلال عَمَاءِ
يخرجـن من رَهـجٍ دُوَينَ ظلالهِ مثـل الجنـادب من حصـي المعزاءِ
يلفظـنَ من وجـعِ الشّـكيم وعجمه زبـداً خلطـن بياضـه بدماءِ[3]
كم من كريمـةِ معشـرٍ أيّمنها وتـركن صاحبهـا بدار ثواءِ[4]
إن الأعـادي لن تنـالَ قديمنا حتـى تنـالَ كواكبَ الجوازاءِ
كم في لجيمٍ من أغـرَّ كأنه صبـحٌ يشـقُّ طيالس الظلماءِ
بحـرٌ يكلل بالسـديف جفانهُ حتـى يمـوت شمـالُ كل شتاءِ[5]
ومجـربٌ خضـلُ السِّنـانِ إذا التقى رجعـت بخاطـره صدُورُ ظماءِ
صدىءُ القبـاءِ من الحـديد كأنه جَمـلٌ تعمَّـدَهُ عصيمُ هَنَاءِ[6]
إنّـا وجدِّكَ ما يكون سلاحُنا حجـرُ الأكام ولا عصـا الطرفاءِ
نأوى إلـى حلـق الحـديد وقُرَّحٍ قُبٌّ تشـوَّقُ نَحـو كلٌ دُعَاءِ[7]

---

(١) سبدٌ : أي قليل .
(٢) ابو النجم العجلي : هو الفضل بن قدّامة احد رجال الاسلام المتقدمين في الطبقة الاولى قال ابو عمرو بن العلاء هو أبلغ من العجاج ، وكان ينزل بسواد الكوفة . توفي سنة ١٣٠ هـ (الشعر والشعراء ٥٨٤ - ٥٩١) (الاغاني ٩ / ٧٣ - ٧٧) . (الخزانة ١ / ٧١ - ٧٢) .
(٣) الشكيم : وهي في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس .
(٤) ايمّنها : اي جعلوها ايمًا « ارملة » .
(٥) السديف : من السدفة وهي الظلمة .
(٦) عصيم : من العصمة ، اي حفظه من الجوع .
(٧) قرّحٍ : من الخيل التي بلغت من العمر السنة الخامسة .
القب : الخيل الضامرة .

ولقد غَدوْنَ على طهيَّةِ غدْوَةٍ ... حتى طرقن نساءنا بنساءِ
تلكم مراكبُنا وفوق حبائنا ... بيض الغضون سوابغُ الأثناء
قدِّرن من حلق كأن شعاعها ... ثلجٌ يطنّ على متون نهاءِ
تحمي الرماحُ لنا حمانا كلَّه ... وتبيحُ بعدُ مسارحَ الأحماءِ
إن السيوفَ تجيرنا ونجيرُها ... كُلٌّ يجيرُ بعزةٍ ووفاءِ
لا ينثنين ولا نردُّ حُدودَها ... عن حدٍّ كلٍّ كتيبةٍ خرساءِ
إنا لتعملُ بالصفوف سيوفُنا ... عَمَلَ الحريقِ بيابس الحَلْفَاءِ

وكقول عبد الشارق بن عبد العزَى الجهني .

ألا حييت عنا يا رُدَيْنا ... نحييها وإن كرمت علينا
ردينةُ لو رأيت غداة جئنا ... على أضماتنا وقد احتوينا[1]
فأرسلنا أبا عمرو ربيئاً ... فقال ألا انعموا بالقوم عينا
ودَسُّوا فارساً منهم عشاءً ... فلم نغدرْ بفارسهم لدَينا
فجاءُوا عارضاً برداً وجئنا ... كمثل السيل نركب وازِعيْنَا
تنَادوا يا لِبُهثَةَ إذ رأونا ... فقلنا أحسني صبراً جُهينا
سمعنا دعوةً عن ظهر غيبٍ ... فجلنا جَولةً ثم أرعوينا[2]
فلما أن تواقفنا قليلا ... أنخنا للكلاكِلِ فارتمينا[3]
فلما لم تَدَعْ قوساً وسهماً ... مشينا نحوهم ومشوا إلينا
تلألُؤ مزنةٍ برقت لأخرى ... إذا حجلوا بأسياف ردينا[4]
شددنا شدةً فقتلت منهم ... ثلاثة فتيةً وقتلت قينا

---

(١) اضماتنا : الأضم : الغضب
احتوينا : اي احتوينا الاموال والغنائم .
(٢) ارعوينا : اقتنعنا ورجعنا .
(٣) الكلاكل : الصدور .
(٤) مزنة : مطر خفيف .

وشــدّوا شــدة أخــرى فجرّوا ... بأرجُـل مثلهــم ورمَــوْا جُوَينا

وكان أخــي جوينٌ ذا حفاظٍ ... وكان القتــلُ للفتيان زينا

فآبــوا بالرمــاح مكَسَّراتٍ ... وأبنــا بالسيوف قد انحنينا

وباتــوا بالصــعيد لهــم أحاحٌ ... ولــو خفــت لنــا الكلمــى سَلَيْنا[1]

وكقول المثقب العبدي[2] :

أفاطِـمُ قبـل بينِـكِ متعيني ... ومنعــك ما سألــتُ كأنْ تبيني[3]

فلا تعــدي مواعِـدَ كاذباتٍ ... تَمُرُّ بهــا رياحُ الصيف دُوني

فإنــي لو تعاندنــي شمالي ... عنــادَكِ ما وصلــتُ بهــا يميني

إذاً لقطعتهــا ولقلــت بيني ... كذلك أجتوي من يجتويني

وفيها يقول :

وإمــا أن تكون أخــي بحقٍّ ... فأعــرف منــك غثّــي من سميني

وإلا فاطَّرِحْنــي واتخذني ... عدوًّا أتقيك وتتقيني

فمــا أدري إذا يمّمــت أرضاً ... أريد الخيرَ أيهمــا يليني

أألخير الــذي أنــا أبتغيه ... أم الشــرُّ الــذي هو يبتغيني

وكقول نهشل بن حري المازني[4] :

إنّــا مُحيُّوكِ يا سلمــى فحيينا ... وإن سقيت كرامَ النــاس فاسقينا

إنّــا بنــي نهشــلٍ لا ندعــي لأب ... عنــه ولا هو بالأبنــاء يشرينا

إن تبتــدر غاية يومــاً لمكرمةٍ ... تلــقَ السوابقَ منــا والمصلينا

وليس يهلكُ منــا سيدٌ أبداً ... إلا افْتَلَيْنا غلامــاً سيداً فينا[5]

(١) احاحٌ : حزن ونواح .

(٢) المثقب العبدي شاعر جاهلي من الفحول ، ممن اختار لهم الضبي في المفضليات .

(٣) بينك : فراقك .

(٤) نهشل بن حري المازني من المخضرمين كان شاعراً حسن الشعر ، بقي الى ايام معاوية . (الشعر والشعراء)

(٥) افتلينا : ربّيْنا ونَشَّأنا ، افتلى : ربّى . .

إنا لنرخص يومَ الروعِ أنفسنا ... ولو نسام بها في الأين أغلينا[1]
بيضٌ مفارقُنا تغلي مراجلُنا ... نأسو بأموالنا آثار أيدينا
إني لمن معشرٍ أفنى أوائلَهم ... قولُ الكماة ألاَ أين المحامونا
لو كان في الألف منّا واحدٌ فدَعوْا ... من فارسٌ خالهم إياه يعنونا
إذا الكماةُ تَنَحَّوْا أن ينالَهُمُ ... حدُّ الظباة وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وإن جلّت مصيبتُمُ ... مع البكاة على من فات يبكونا
ونركب الكرهَ أحياناً فيفرجه ... عنّا الحفاظ وأسيافٌ تواتينا[2]

وكقول عدي بن زيد التميمي[3] :

كفى واعظاً للمرء أيام دهره ... تروحُ له بالواعظات وتغتدي
بليت وأبليت الرجال وأصبحت ... سنون طوالٌ قد أتت دون مولدي
فلا أنا بدعٌ من حوادثَ تعتري ... رجالاً عرت من مثل بؤسَى وأسعُد[4]
فنفسُك فاحفظها من الغيِّ والرَّدى ... متى تَغوها يغوِ الذي بك يقتدي
وإن كانت النعماءُ عندك لا مرىءٍ ... فمثلاً بها فاجز المطالب أو زدِ
إذ أنت لم تنفع بودك أهلَه ... ولم تنْكِ بالبؤسى عدوّك فابعدِ
إذا أنت فاكهت الرجالَ فلا تلع ... وقل مثلما قالوا ولا تتزيَّد[5]
عن المرء لا تسأل وأبصرْ قرينَهُ ... فإن القرين بالمقارنِ مقتد
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم ... فعفٌ ولا تطلبْ بجهدِ فتنكدِ
ستدرك من ذي الفحش حقَّك كلَّه ... بحلمك في رفقٍ ولما تشدَّدِ

---

(١) الأين : التعب .

(٢) تواتينا : تطاوعنا .

(٣) عدي بن زيد التميمي شاعر نصراني سكن الحيرة والعراق واتصل بالنعمان وكسرى عدّه ابن سلام في الطبقة الرابعة في الجاهلية . (طبقات فحول الشعراء ١١٥) لا تلَعْ : لا تكثر من التلوع والتشوّق .

(٤) وردت (بؤسٍ وأنعم) ، والتصحيح من الجمهرة تحقيق البجاوي ص ٤٨٩ وأسعد : جمع سعد : وهو من اليُمن والخير .

فلا تقصرن من سعي من قد ورثته | وما اسطعت من خيرٍ لنفسك فازدد
وبالصدق فانطقْ إن نطقت ولا تلم | وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمدِ
عسى سائلٌ ذو حاجة إن منعته | من اليوم سؤلاً أن يُيَسَّر في غد
وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً | على المرء من وقع الحسام المُهَنَّدِ
إذا ما رأيت الشرَّ يبعث أهله | وقام جناة الشرّ للشر فاقْعُد

وكقول عبد الُملك بن عبد الرحيم الحارثي[1] :

تُعيِّرنا أنَّا قليل عديدُنا | فقلت لها إن الكرام قليل
وما قلَّ من كانت بقاياه مثلنا | شباب تسامى للعلا وكهولُ
وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا | عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلٌ
لنا جبلٌ يحتله من نجيره | منيعٌ يردُّ الطَّرف وهو كليلُ
رسا أصله تحت الثرى وسما به | إلى النجم فرعٌ لا ينالُ طويلُ
ونحن أناسٌ لا نرى القتل سُبَّةً | إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
يقصِّر حبُّ الموتِ آجالنا لنا | وتكرهه آجالهم فتطولُ
وما مات منا سيِّدٌ حتف أنْفِهِ | ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلُ
تسيل على حد الظُّباة نفوسنا | وليست على غير الحديد تسيلُ
وننكر إن شئنا على الناس قولهم | ولا ينكرون القول حين نقولُ
إذا سيِّدٌ منا خلا قام سيدٌ | قئول لما قال الكرامُ فعولُ
وما أُخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ | ولا ذمَّنا في النازلين نزيلُ
وأيامُنا مشهودةٌ في عَدُوِّنا | لها غررٌ معلومة وحجولُ
وأسيافنا في كل شرقٍ ومغربٍ | بها من قراع الدارعين فلولُ
معوَّدةٌ ألا تُسَلَّ نصالُها | فتغمد حتى يستباحَ قَبيلُ

---

(١) عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي شاعر اسلامي .

وكقول مروان بن أبي حفصة[1] :

بنـو مطـرٍ يوم اللقـاء كأنهم ... أسـودٌ لهـا في غيَل خفـان أشبُلُ
هُمُ المانعـون الجـارَ حتـى كأنما ... لجارهـم بين السمـاكين منزل[2]
بها ليلُ في الإسـلام سادوا ولـم يكن ... كأولّهـم في الجـاهلية أول[3]
هم القـومُ إن قالـوا أصابـوا وإن دعوا ... أجابـو وإن أعطـوا أطابـوا وأجزلوا
ولا يستـطيعُ الفاعلـون فعالهم ... وإن أحسنـوا في النائبـات وأجملوا[4]
ثُلاث بأمثـال الجبـال حُباهُم ... وأحلامهـم منهـا لدى الـوزن أثقلُ[5]

فهذه الأشعار وما شاكلها من أشعار القدماء والمحدثين أصحاب البدائع والمعاني اللطيفة الدقيقة تجبُ روايتُها والتكثُر لحفظها .

(١) مروان بن ابي حفصة شاعر مجوّد في عهد الرشيد توفي سنة ١٨٢ هـ .
(٢) السماكين : نجمين في السماء .
(٣) البهاليل : السادة الذين يعلو وجوههم البِشر .
(٤) النائبات : مصائب الدهر .
(٥) ثلاثُ : توزن وتُقدَّرُ
حباهُم : عطاياهم .

الأشعار الغثة المتكلفة النسج

ومن الأشعار الغثة الألفاظ ، الباردة المعاني ، المتكلفة النسج ، القلقةِ القوافي ، المضادة للأشعار التي قدمناها ، قَولُ الأعشى :

بانت سعاد وأمسى حبلُها انقطعا — واحتلت الغَمر فالجدين فالفرعا[1]

لا يسلم منها خمسة أبيات ، ونكتبها ليوقَفَ على التكلف الظاهر فيها :

بانت وقد أسأرت في النفس حاجتها — بعد ائتلاف وخير الودّ ما نفعا
تعصي الوشاة وكان الحبُّ آونةً — مما يُزيِّن للمشغوفِ ما صنعا
وكان شيءٌ إلى شيءٍ فغيَّرهُ — دهرٌ يعود على تشتيت ما جمعا
وأنكرتني وما كان الذي نكرتْ — من الحوادثِ إلا الشيب والصَّلعا
قد يترك الدهرُ في حلقاءَ راسيةٍ — وهياً ويُنزلُ منها الأعصمَ الصدعَا[2]
وما طِلابُك شيئاً لست مُدركه — إن كان عنك غرابُ البين قد وقعا
تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً — يا ربٍّ جنب أبي الإتلافَ والوجعا

(١) الغمر : الغامرُ من الارض ضد العامر .
(٢) حلقاء : الصخرة الملساء .
الاعصم : الظبي .
الصدع : الشاب القوي .

واستشفعتْ من سراةِ القومِ ذا شرف — فقد عصاها أبوها والذي شفعا

مهلاً بنيةُ إن المرءَ يبعثُه — همٌّ إذا خالط الحيزوم والضِّلعَا

عليك مثل الذي صليت واغتمضي — نوماً فإن لجنبِ المرء مضطجعا

واستنجدي قافلَ الركبانِ وانتظري — أوبَ المسافر إن ريثاً وإن سرَعَا[1]

ولا تكوني كمن لا يرتجي أحداً — لذي اغترابٍ ولا يرجو له رجَعا

كوني كمثل الذي إذ غابَ واحِدُها — أهدت له من بعيد نظرةً جَزعا

ما نظّرت ذات أشفار كنظرتها — حقًّا كما صدق الذئبيُّ إذ سجعا[2]

إذ قلَّبت مقلةً ليست بمقرفةٍ — إنسانَ عينٍ ومؤقاً لم يكن قمعا[3]

فنظّرت نظرةً ليست بكاذبة — ورفّع الآلُ رأس الكلب فارتفعا[4]

قالت أرى رجلاً في كفّه كتفٌ — أو يخصف النعل ويلي أيةٌ صنعا

فكذبوها بما قالت فصبَّحهم ذو آل — جيشان يزجي الموت والشرَّعا[5]

فاستنزلوا أهل جوّ من مساكنهم — وهدَّموا شاخص البنيان فاتضعا[6]

وبلدةٍ يرهبُ الجُوَّابُ خشيتها — حتى تراه عليها يبتغي الشيعا

لا يسمعُ المرءُ فيها ما يؤنِّسهُ — بالليل إلا نئيم البُوم والضُّوَعا[7]

كلفت عمياءَها نفسي وشيَّعني — هَمِّي عليها إذا ما آلَها لَمَعا

---

(١) اوب : عودة .
ريثاً : تمهُّلاً .

(٢) اشفار : ج شفرة وهو منبت الشعر في الجفن .
الذئبيُّ : سطيح الكاهن ، من بني الذئب وهم بطن من الأزد [اللسان مادة (ذأب)]

(٣) مقرفةٍ : بمعنى غلط .
مؤقاً : إنسان العين .
قمعاً : فساداً .

(٤) الآل : السراب .

(٥) الشرَّعا : الحبال التي يصيد بها الصائد .

(٦) جوٌّ : اسم عاصمة اليمامة .

(٧) الضوّعا : طائر اسود كالغراب

بذات لوثٍ عفرنــاة إذا عثرت ... فاللعن أولى (لها) من أن يقال لعا[1]

تخــالُ حقًّــا عليهــا كلمــا ضمرت ... بعــد الكلالــةِ أن تستوفــي النِّسعا[2]

تُلــوى بعــذقٍ خصــابٍ كلمــا خَطَرت ... عن فرج معقومــةٍ لم تتبــع ربُعًا[3]

كأنهــا بعــد ما أفضــي النجــادُ بها ... بالشَّيِّطين مهــاةٌ تبتغــي دَرِعا[4]

أهَوى لها ضابىء في الأرض مفتحصٌ ... للصيدِ قدماً خفيُّ الشخصِ إذ خشعا[5]

بأكلُــبٍ كســراءِ النَّبــلِ ضاريةٍ ... ترى من القِدِّ في أعناقِهــا قطعا

فظــلَّ يخدعُهــا عن نفس واحدِها ... ومثلُــه مثلَهــا عن واحــدٍ خدَعا

حتــى إذا غفلــت عنــه ومــا شعرت ... أن المنيةَ يومــاً أرسلــت سبُعا

دارت لتطعمــه لحمــاً ويفجعها ... بابن فقــد أطعمــت لحمــاً وقــد فجعا

فظــل يأكلُ منــه وهــي لاهيةٌ ... صدْرَ النهــارِ تراعــى ثيرةً رُتَعَا[6]

حتــى إذا فيْقــةٌ في ضرعهــا اجتمعت ... جاءت لترضع شق النفس لو رضعا[7]

عجلــى إلــى المعهــد الأدنــى ففاجأها ... أقطاعُ مســكٍ وسافتَ من دمٍ دُفعا[8]

فانصرفــت والهــاً ثكلــى علــى عجلٍ ... كلٌّ دهاهــا وكلٌّ عندهــا اجتمعا

---

(١) لوث : قوة .
عفرناةٍ : الغول .
لعا : دعاء .

(٢) النسعا : النسع : خيط من الجلد يُشد به الحذاء .

(٣) عذقٍ : العَذق : النخلة بحملها .
العِذق : الكياسة .

(٤) الشيِّطين : واديان .
درعا : ولد المهاة .

(٥) ضابىء : متحينٌ ، مترصّد
مفتحص : باحث عن فريسته

(٦) ثيرة : قطيع ثيران .

(٧) فيْقةَ : ما تجمّع في الضرع من اللبن .

(٨) مسكٍ : جلدٍ .
سافت : شمت

وبـات قطـرٌ وشفـانٌ يصفقها ... من ذا لهذا وقلبُ الشاةِ قد صقعا

حتى إذا ذرَّ قرنُ الشمسِ صبَّحَها ... ذو آل بنهسان يبغى صحبه المتعا

بأكلبٍ كسراءِ النبلِ ضاربةٍ ... ترى من القِدِّ في أعناقها قطَعَا[1]

فتلك لم يترك من خلفها شبهاً ... إلا الدوائرَ والأظلافَ والزُّمعا[2]

أنضيتُها بعد ما طال الهبابُ بها ... تَؤُمُّ هوذةَ لانِكساً ولا ورعا[3]

يا هوذُ إنك من قومٍ أولى حسبٍ ... لا يفشلون إذا ما آنسوا فزعا

هم الخضارمُ إن غابوا وإن شهدوا ... ولا يرون إلى جاراتهم خُنُعا

قومٌ سيوفُهُم أمنٌ لجارهمُ ... يوماً إذا ضمت المحذورة القزعا[4]

وهم إذا الحربُ قد أبدت نواجذَها ... مثلَ السيوفِ وسمٌّ عاتق نقعا

من يعفُ هوذة أو يحللْ بساحته ... يكن عليه عيالاً طول ما اجتمعا

وإن تجامعْه في الجلَّى مجامعةً ... يكن لهوذةَ فيما نابه تبعاً

ومن يَرَ هوذةَ يسجدْ غير متئب ... إذا تعمم فوقَ التاجِ أو وضعا[5]

له اكاليلُ بالياقوت قصَّصها ... صواغُها لا ترى عيباً ولا طبعا

وكلُّ زوجٍ من الديباج يلبسُه ... أبو قدامة محبُوًّا بذاك معا

أغرُّ أبلجُ يُستسقى الغمامُ به ... لو قارعَ الناس عن أحسابهم قرعا

لم ينقضِ الشيبُ منه فتل مِرَّته ... وقد تجاوز عنه الجهل فانقشعا

قد حمَّلوه فتيَّ السن ما حملت ... أشياخهم فأطاق الحملَ واضطلعا

---

(١) سراءِ : نوع من الشجر .
القدّ : القيد .

(٢) الدوائر : دوائر الحافر : ما أحاط به من التبن .
الزُمعا : اظفار الغنم .

(٣) الهبابُ : النشاطُ .
نكساً : ضعفاً .

(٤) المحذورة القزعا : التي تخشى الحرب .

(٥) غير متئب : لا يستحي .

وجرّبـوه فمـا زادت تجاربهَم ... أبـا قدامـةَ إلا الحـزم فارتفعا

يرعى إلـى قول ساداتِ الرجـالِ إذا ... أبـدوا له الحـزمَ أو إن شاء مبُتدعا

قد نالَ أهـلُ شآم فضـلَ سؤودَده ... وكاد يسمـو إلـى الجـوزاءِ واطَّلعا

ثم تنـاول كلبـاً في سمارتها ... قدمـاً سمـا لجسيمِ الأمـر فافترعـا

قاد الجياد من الجـوَّين منعلةً ... إلى المدائـنِ خاض الموت وادَّرعا

لا يرقـعُ النـاسُ ما أوهـى وإن جهدوا ... طولَ الحياةِ ولا يوهـون ما رقعا

ومـا يردَ جميعٌ بعـدَ فرّقه ... ومـا يرد بعـدُ من ذي فرقـةٍ جمعا

ومـا مجـاورُ هيتٍ إذ طغـى فطما ... يَدقُّ آذيُّه البوصـيَّ والشرعا[1]

يجيشُ طوفانُـه إذ عبَّ محتفلاً ... يكاد يعلـو ربـا الجـرفين مطَّلعا

هبـت له الـريحُ فامتـدت غواربُه ... ترى حوالبَـهُ من مدِّهِ تُرعا[2]

يومـاً بأجـودَ منـه حـين تسأله ... إن ضَنَّ ذو الوفـرِ بالإعطـاءِ أو خدعا

ومثـلُ هوذةُ أعطـى المـالَ سائلهُ ... ومثـلُ أخلاقِـه من سيءٍ منعا

تلقـى له سادة الأقـوامِ تابعة ... كلٌّ سيرضـى بأن يُدعـى له تبعا

يا هوذُ يا خيرَ من يمشـى علـى قدم ... بحـر المواهـب للوُرَّادِ والشِّرعا[3]

سائـل تميمـاً بِهـم أيامَ صفقتِهم ... لمـا أتـوه أسـارى كلهـم ضرُعا

وسـط المشقَّـر في عشـواءَ مظلمة ... لا يستطيعـون بعـد الضّـرِّ منتفعا

لو أطعمـوا المـنَّ والسلـوى مكانَهُم ... لما رأى الناس فيهم مطعمـا نجعا[4]

بظلمهـم ينطـاع الملك إذ غدروا ... فقـد حسـوا بعـد من أنفاسِـه جُرَعا

---

(١) هيت : نهر دجلة .
آذيّة : موجه .
البوصّي : حافتيه .

(٢) غواربه : امواجه العالية .
حوالبه : فروعه .

(٣) الشرعا : الشرع مورد الشاربين .

(٤) نجعا : من النجعة وهو طلب الكلأ والطعام في موضعه واهله .

وقـال لِلملك أطلـقْ منهُـمُ مائةً   رسـلاً من القـول مخفوضـاً ومـا رفعَا

ففـكَّ عن مائـةٍ منهـم أسارهم   فكُلُّهـم عانيا من غلـة خلعا

به تقـرب يوم الفصـح محتسبـاً   يرجـو الإلـه بمـا أسـدى ومـا صنَعَا

ومـا أرادَ بهـا نعمـى يثـابُ بها   إن قال كلمـةَ معـروف بهـا نَفَعا

فلا يرون بذاكم نعمـةً سبقت   إن قال قائلُنـا حقـا بهـا وسَعَى

فهذه القصيدة ستة وسبعون بيتاً التكلف فيها ظاهرٌ بيِّنٌ إلا في ستـة أبيات وهي :

تقـول بِنتـي وقـد قرَّبـتُ مرتحـلاً   يا رب جنِّـب أبـي الإتـلاف والوجعَا

بذات لوثٍ عفرنـاة إذا عثرت   فاللعـن أدنـى لهـا من أن أقـول لعا

بأكلـب كسـراءِ النبْـل ضاربة   ترى من القِـدِّ في أعناقهـا قطعاً

يا هوذ إنـك من قومٍ أولـى حسبٍ   لا يفشلـون إذا ما آنسـوا فزعاً

أغـرُّ أبلـجٌ يستسقـى الغمـامُ به   لو قارع النـاس عن أحسابهـم قرعا

لا يرقـعُ النـاسُ ما أوهـى وإن جهدوا   طول الحياةِ ولا يوهـون ما وقعا

وفيهـا خللٌ ظاهـر ، ولكنهـا بالإضافـة الـى سائـرِ الأبيات نقيةٌ بعيدةٌ عن التكلف . والذي يوجبه نسجُ الشعـرِ أن يقـول : « يا رب جنـب أبـي الاتـلاف والأوجاع » أو « التلف والوجع » . . .

ومثل هذه القصيدة في التكلف وبشاعةِ القولِ قولُه أيضاً في قصيدته :

لعمرك ما طول هذا الزمن

فإن يتبعـوا أمـره يُرشدوا   وإن يسألـوا مالـهُ لا يَضِنْ[1]

ومـا إن علـى قلبـه غمرةٌ   ومـا إن بعظـم له من وهَنْ

---

(١) يَضِنْ : يبخل

وما إن على جاره تَلْفَةٌ يساقطها كسقاط اللَّجَنْ[1]
ولم يسعَ في الحرب سعي امرئٍ إذا بِطْنَةٌ راجعته سكنْ
عليها وإن فاته أكلةٌ تلافى لأخرى عظيم العُكَنْ[2]
يرى همّه أبداً خصرهُ وهَمُّكَ في الغزو لا في السِّمَنْ

فمثل هذا الشعر وما شاكله يصدىء الفهم ويورث الغم ، لا كما يجلو الهم ويشحذ الفهم من قول أحمد بن أبي طاهر :

إذا أبو أحمَد جادت لنا يدُهُ لم يحمد الأجودان البحرُ والمَطَرُ
وإن أضاء لنا نورٌ بغرته تضاءلَ الأنور ان الشمسُ والقمرُ
وإن مضى رأيه أو جدَّ عزمتَه تأخر الماضيان السيفُ والقدَرُ
من لم يكن حذِراً من حدِّ سطوتِه لم يدر ما المزعجان الخوفُ والحذرُ
حلو إذا أنت لم تبعث مرارته فإن أمِرَّ فحلوٌ عنده الصبرُ
سهل الخلائق إلا أنه خشِنٌ لين المهزة إلا أنه حجرُ
لا حيَّةٌ ذكر في مثل صولته إن صال يوماً ولا الصمصامة الذكرُ
إذا الرجال طغوا أو إذ هم وعدوا بالأمر رُدَّ عليه الرأي والنظَرُ
الجودُ منه عيانٌ لا ارتيابَ به إذ جودُ كلِ جوادٍ عنده خَبَرُ

فهذا الشعر من الصفو الذي لا كدرَ فيه .

وأكثر من يستحسن الشعر تقليداً على حسب شهرة الشاعر وتقدم زمانه ، وإلا فهذا الشعر أولى بالاستحسان والاستجادة من كل شعر تقدمه .

---

(١) اللَّجَن : ورق من الشجر يُدقُّ ويُخلط مع الشعير ثم يُتّخذُ علفاً للماشية .
(٢) العُكَن : العكنة الطيُّ الذي في البطن من السمنة .

المعاني المشتركة « السرقات »

وإذا تناول الشاعر المعانيَ التي قد سُبقَ إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب بل وجَبَ له فضل لطفه وإحسانه فيه . .

كقول أبي نواس :

وإن جرت الألفاظُ منا بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

أخذه من الأحوص حيث يقول :

متى ما أقلْ في آخرِ الدهرِ مدحةً فما هي إلا لابن ليلى المكرَّمِ

وكقول دعبل :

أحبُّ الشيبَ لما قيل ضيفٌ كحبّي للضيوف النازلينا

أخذه من قول الأحوص أيضاً حيث يقول :

فبان مني شبابي بعد لذتهِ كأنما كان ضيفاً نازلاً رحلا

وكقول دعبل أيضاً :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى

أخذه من قول الحسين بن مطير :

كل يوم بأقحوان جديد   تضحك الأرض من بكاء السماءِ

وكقول أبي نواس :

تدور علينا الراح في عسجديةٍ   حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتُها كسرى وفي جنباتها   مها تدَّريها بالقسيّ الفوارس
فللخمر ما زرّت عليه جيوبها   وللماء ما حازت عليه القلانس[١]

أخذه أبو الحسين بن أحمد بن يحيى الكاتب فقال :

ومدامةٍ لا يبتغي من ربّه   أحدٌ حَبَاه بها لديه مزيدا
في كأسها صورٌ يُظنُّ لحسنها   عُرباً برزن من الجنان وغيدا[٢]
قد صُفَّ في كاساتها صورٌ حلت   للشاربين بها كواعِبُ غيدا
فإذا جرى فيها المزاج تقسمت   ذهباً ودرًّا توأماً وفريدا
فكأنَّهن لبسن ذاك مجاسداً   وجعلن ذا لنحورهن عقودا

فهذا من أبدع ما قيل في هذا المعنى وأحسنه .

ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى الطاف الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها ، وتلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراءِ بها ، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها ، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه ، فإذا وجد معنىً لطيفاً في تشبيب أو غزل استعمله في المديح ، وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء ؛ وإن وجده في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الإنسان ، وإن وجده في وصف إنسان استعمله في وصف بهيمة ، فإن

---

(١) زرّت : اقفلت .
(٢) عُرباً : الفتيات الجميلات .

عكس المعاني على اختلاف وجوهها غير متعذر على من أحسن عكسها واستعمالها في الأبواب التي يحتاج إليها فيها ، وإن وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام ، أو في الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعراً كان أخفى وأحسن . ويكون ذلك كالصائغ الذي يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه ، وكالصباغ الذي يصبغ الثوب على ما رأى من الأصباغ الحسنة .

فإذا أبرز الصائغ ما صاغه في غير الهيئة التي عهد عليها ، وأظهر الصباغ ما صبغه على غير اللون الذي عهد قبل ، التبس الأمر في المصوغ وفي المصبوغ على رائيهما ، فكذلك المعاني وأخذها واستعمالها في الأشعار على اختلاف فنون القول فيها . قيل للعتابي : بماذا قدرت على البلاغة ؟ فقال : بحل معقود الكلام ؛ فالشعرُ رسائلُ معقودة ، والرسائلُ شعرٌ ، وإذا فتشت أشعار الشعراء كلها وجدتها متناسبة ، إما تناسباً قريباً أو بعيداً . وتجدها مناسبة لكلام الخطباء ، وخطب البلغاء ، وفقر الحكماء . وسنذكر من ذلك ما يكون شاهداً على ما نقول .

من ذلك أن عطاء بن أبي صيفي الثقفي دخل على يزيد بن معاوية فعزاه عن أبيه وهنأه بالخلافة ، وهو أول من عزى وهنأ في مقام واحد فقال : « أصبحت رزيت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، قضى معاوية نحبه فيغفر الله ذنبه ، ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاشكر الله على عظيم العطية ، واحتسب عند الله جليل الرَّزية ، وأعظم الله في معاوية أجرك ، وأجزل على الخلافة عونك » . فأخذه أبو دلامة فقال يرثي المنصور ويمدح المهدي :

عينـاي واحـدةٌ تُرى مسرورةً ... بإمامهـا جذلـى ، وأخـرى تذرفُ
تبـكي وتضحـك تارة يسؤوها ... ما أنـكرت ويسرهـا ما تعرفُ
فيسوءهـا موتُ الخليفـةِ أولاً ... ويسرهـا أن قام هذا الأرأفُ
ما إن سمعـتُ ولا رأيتُ كمـا أرى ... شعـراً أرجلـه وآخـر أنتفُ
هلك الخليفـةُ يال أمـة أحمد ... وأتـاكُم من بعـده من يخلفُ

أهــدى لهــذا الله فضــلَ خلافةٍ ولــذاك جنــاتُ النعيم وزخرفُ
فابــكوا لمصــرعِ خيرِكم ووليكم واستبشــروا بقيام ذا وتشرفوا

فأخذه أبو الشيص فقال يرثي الرشيد ويمدح المخلوع :

جرت جوارٍ بالسعــد والنحس فنحــن في وحشــةٍ وفــي أُنْسِ
فالعينُ تبــكي والسـنُ ضاحكةٌ فنحــن في مأتــم وفــي عُرس
يضحكنــا القائــمُ الأمينُ وتبكينــا وفــاةُ الإمــام بالأمسِ
بدرانِ ، هذا أمســى ببغــداد في الخلْــد وهــذا بطـوس في رمْسِ

ولما مات الاسكندر ندبه أرسطاليس فقال : طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً . وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من وعظه بسكوته : فأخذه صالح بن القدوس فقال :

وينادونــه وقــد صم عنهُمُ ثم قالــوا وللنســاء نحيبُ
من الــذي عاق أن تردَّ جوابا أيهــا المقــولُ الألــدُّ الخطيبُ
إن تكن لا تطيقُ رجــعَ جوابٍ فيمــا قد ترى وانــت خطيبُ
ذو عظــات ومــا وعظــت بشيء مثــل وعــظِ الســكوتِ إذ لا تُجيبُ

فاختصره أبو العتاهية في بيت فقال :

وكانــت في حياتــك لي عظاتٌ فأنــت اليَوم أوعــظُ منــك حيا

وقال ابن عائشة : انصرفت من مجلس فقال لي أبي : ما حدثكم حماد ؟ فقلت : حدثنا أن النبي ـ ﷺ ـ قال : لو لم يلفَ ابن آدم إلا على الصحة والسلامة لكفى بهما داءً . فقال أبي : قاتل اللهُ حميد بن ثور حيث يقول :

أرى بصــري قد خانني بعــد صحةٍ وحسبــك داءً أن تصــحَّ وتَسْلمَا

ولله درُّ النمر بن تولب حيث يقول :

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ ... فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ... ليُصبحَني فإذا السلامةُ داءُ

وحيث يقول أيضاً :

يودُّ الفتى طولَ السلامةِ جاهداً ... فكيف تُرى طولُ السلامةِ يفْعَلُ

ولله در القائل :

لا يعجبُ المرءُ أن يُقال له ... أمسى فلانٌ لأهله حكَما
إن سرَّهُ طولُ عيشِهِ فلقد ... أضحى على الوجه طولَ ما سَلمَا

فسمع محمودُ الوراق هذه الأبيات فقال[1] :

يهوى البقاءَ فإن مدَّ البقاءُ له ... وساعدت نفسه فيها أمانيها
أبقى البقاءُ له في نفسه شُغُلا ... لما يرى من تصاريف البِلى فيها

فأخذه عبد الصمد بن المعذَّل فقال :

يهوى البقاءَ رهبة الفناءِ ... وإنما يفنى من البقاء

وربما أحسن الشاعر في معنى يبدعه فيكرره في شعره على عبارات مختلفة ، وإذا انقلبت الحالةُ التي يصفُ فيها ما يصف ، قلب ذلك المعنى ولم يخرج عن حد الإصابة فيه ، كما قال عبد الصمد بن المعذَّل في مدح سعيد بن سلم الباهلي :

ألا قل لسارقِ الليل لا تخشَ ضَلَّةً ... سعيد بن سلمٍ ضوءُ كلِّ بِلادِ

---

(١) محمود الورّاق هو محمود بن الحسن الورّاق البغدادي مولى بني زهرة ، يكنى ابا الحسن ، شاعر كثير الشعر جيده ، وعامته في الحِكم والمواعظ والزهد .

فلما مات رثاه فقال :

يا ساريا حيرة ضَلالُه ضوءُ البلادِ قد خبا ذُبالُه[1]

وكما قال عليٌّ بنُ الجهم[2] :

قالوا حُبست فقلتُ ليس بضائري حبس وأيُّ مهنَّدٍ لا يُغْمدُ
أو ما رأيتُ الليث يألف غيلَهُ كِبْراً وأوباش السِّباعِ تردَّدُ

فلما نُصبَ للناس وعُري بالشاذياخ قال :

نصبوا بحمد الله ملءَ عيونهم حسناً وملءَ صدورهم تبجيلا
ما عابهُ أن بُزَّ عنه ثيابُه فالسيفُ أهولُ ما يُرى مسلُولا

فتشبه في حال حبسه بالسيف مغمدا ، وفي حال تعريته بالسيف مسلولا وبالليث إلفا لغيله تارة ، ومفارقاً لغيله تارة .

ومما يستحسن جدًّا قول علي بن محمود بن نصر :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعي أن نجومَ الليلِ ليست تغُورُ
ليلي كما شاءَتْ فإن لم تَزُرْ طالَ وإن زارت فليلي قَصِيرُ

وأخذ هذا المعنى من قول الرجل لمعاوية حيث سأله : كيف الزمان عليك فقال : يا أمير المؤمنين أنت الزمان ، إذا صلحت صلح الزمان ، وإذا فسدت فسد الزمان .

وكل ما أودعناه هذا الكتاب فأمثلةٌ يقاس عليها أشكالُها ، وفيها مقنع لمن

---

(١) ذباله : فتيله الذي ينبعث منه الضوء .

(٢) علي بن الجهم كان معاصراً لابي تمام نشأ ببغداد ، واختصَّ بالمتوكل ثم غضب عليه ونفاه الى خراسان ورحل الى حلب فقُتل فيها (الاغاني ٩/ ٩٩) .

دَقَّ نَظَرَه ولطف فهمه ، ولو ذهبنا نستقصي كلّ باب من الأبواب التي أودعناها كتابنا لطال وطال النظر فيه ، وف فاستشهدنا بالجزء على الكل ، وآثرنا الاختصار على التطويل .

الشعر الحسنُ اللفظ الواهي المعنى

ومن الأبيات الحسنةِ الألفاظ المستعذبة الرائقة سماعاً ، الواهيةِ تحصيلا ومعنى ، وإنَّما يستحسن منها اتفاق الحالات التي وُضِعَت فيها ، وتذكر اللذات بمعانيها . والعبارة عما كان في الضمير منها ، وحكايات ما جرى من حقائقها دون نسج الشعر وجودته ، وإحكام وصفه وإتقان معناه قول جميل :

فيا حسنها إذ يغسل الدمعُ كحلَها ... وإذ هي تذري الدمعَ منها الأناملُ
عشيةَ قالت في العتاب قتلتني ... وقتلي بما قالت هناك تحاولُ

وكقول جرير :

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلاً بعينك لا يزال معينا[1]
غيَّضنَ من عبراتهِن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوَى ولقينا

وكقول الأعشى :

قالت هريرةُ لما جئت زائرُها ... ويلي عليك وويلي منك يا رجُلُ

ويلي الأولى تهدد ، وويلي الثانية استكانه .

---

(١) وشلاً : دمعاً .
معيناً : جارياً .

وكقول قيس بن ذريح :

خليليَّ هَذِي زفرةٌ قد غلبتُها فمن لي بأخرى مثلها قد أطلَّت
وبي زفراتٌ لو يدمن قتلتني تسوق التي تأتي التي قد تولَّتِ

وكقول عمر بن أبي ربيعة :

غفلن عن الليل حتى بدا تباشير من واضحٍ أسفْرَا
فقممن يعفِّينَ آثارنا بأكسية الخزِّ أن تُقْفِراً

فالمستحسنُ من هذه الأبيات حقائق معانيها الواقعة لأصحابها الواصفين لها دون صنعة الشعر وأحكامه ، فأما قول القائل :

ولما قضينا من مِنى كلَّ حاجةٍ ومسَّح بالأركان من هو ماسح
وشُدَّت على حُدْبِ المهاري رحالُنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح[1]
أخذنا بأطرافِ الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيِّ الأباطحُ[2]

هذا الشعرُ هو استشعارُ قائِله لفرحةِ قفوله إلى بلده وسروره بالحاجة التي وصفها ، من قضاء حجه وأنسه برفقائه ، ومحادثتهم ووصفه سيلَ الأباطحِ بأعناق المطيِّ كما تسيل بالمياه . فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر .

وأما المعرض الحسن الذي ابتذل على ما يشاكله من المعاني فكقول كثيرٍ :

فقلت لها ياعزُّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوما لها النفس ذلَّت

قد قالت العلماء لو أن كثيراً جعل هذا البيت في وصف حرب لكان أشعر الناسِ .

---

(١) حُدب المهادي : الأيل التي تحمل المتاع .
(٢) الأباطح : الإبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

وكقول القُطامي في وصف النوق :

يمشين رهــواً فلا الأعجــاز خاذلةٌ ... ولا الصــدور علــى الأعجــاز تتكِلُ

لو جعل هذا الوصفَ للنساء دون النوقِ كان أحسن . وكقول كثير أيضاً :

أسيئي بنــا أو أحسني لا ملومةً ... إلينــا مقليَّة إذا ما تقلَّتِ[1]

قالت العلماء لو قال : البيت في وصف الدنيا لكان أشعر الناس .

ومن الأبيات التي تخلُبُ معانيها للطافة الكلام فيها قول زهير :

تراه إذا ما جئتــه متهلِلاً ... كأنَــك تعــطيه الــذي أنــت سائِلُه
أخــى ثقــةٍ ما تُهلكُ الخمــرُ مالَه ... ولكنــه قد يُهلكُ المــالَ نائِلُهْ
غدوتُ عليه غدوةً فرأيتَه ... قعــوداً لديه بالصريم عواذلُهْ[2]
يفديِّنــه طوراً وطــوراً يلمنَهُ ... وأعيا فمــا يدرين أين مخاتلُهْ[3]
فأعــرض منــه عن كريمٍ مُرزَّءٍ ... فعُــولٍ إذا ما جدَّ بالأمــر فاعِلُهْ[4]

وقول طفيل الغنوي[5] :

جزى الله عنــا جعفــراً حين أزلفت ... بنــا فَعْلُنَــا في الــواطئين فزلَّتِ
أبــوا أن يملُّوتــا ولــو أن أمَّنا ... تلاقي الــذي لاقــوهُ منــا لملَّتِ

وكقول كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

إذا ما أرادَ الغــزوَ لم تثــن هَمَّهُ ... حصَــانٌ عليهــا نظــم دُرٍّ يزينُها

---

(١) مقليَّةٌ : هاجرة ومباعدة .

(٢) الصريم : لفظ يطلق على أول النهار .

(٣) مخاتله : غادره .

(٤) كريمٌ مُرزَّأ : كريم يصاب منه كثيراً (مادة رزأ) .

(٥) طفيل الغنوي : هو طفيل بن عوف بن قيس عيلان شاعر جاهلي من الفحول واوصفُ العرب للخيل حتى قيل له طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها . الأغاني (١٤ / ٨٨) خزانة الأدب (٢ / ٢٦٤)

نهتْهُ فلما لم تر النهيَ عاقَهُ بكت فبكى مما شجاها قطينُها[1]

وقول ابن هرمة :

إنى نذرت لئن لقيتك سالماً أن لا أعالجَ بعدكَ الأسفارا

وقول حمزة بن بيض :

تقول لي والعيونُ هاجعةٌ أقم علينا يوماً فلم أقُمِ
أيَّ الوجوهِ انتجعتَ قلت لَها وأيَّ وجه إلاَّ إلى الحكَمِ[2]
متى يقلْ صاحبا سرادقه هذا ابن بيضٍ بالباب يبْتَسمِ
قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً فهات إذا حَلَّ أعْطني سَلَمي

وقول الآخر :

نقلِّبه لِنَبْلُوَ حالتَيْهِ فتخبر منهما كرماً ولينا
نميلُ على جوانبِه كأنَّا نميل إذا نميلُ على أبينا

وقول أبي العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنها تفري إليك سباسباً ورمالا
فإذا أتين بنا أتين مخفَّةً وإذا رجعنَ بنا رجعنَ ثقالا

---

(١) قطينُها : من قطن أي اقام وتوطن بالمكان ، وهنا بمعنى مكانها او الساكن معها .
(٢) الحكَمِ : الحكن بن مروان .
(٣) تفري : تقطع ، والسباسب : العلوات .

الشعرُ الصحيحُ المعنى ، الرثُ الصياغةِ

ومن الحكم العجيبة ، والمعاني الصحيحة الرثة الكسوية ، التي لم يتنوق في معرضها الذي أبرَزت فيه قولُ القائل :

نُرَاع إذا الجنائزُ قابلتنا ونسكن حين تمضي ذاهباتِ
كروعة ثلةٍ لمغارِ ذِئْبٍ فلما غاب عادت رَائعاتِ[1]

وكقول الآخر :

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوؤهُ يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطِعُ
وما المالُ والأهلونَ إلا وديعةٌ ولا بُدَّ أن تُردَّ الودائِعُ

وكقول الآخر :

دار العدُوَّ تَنَظُّراً بِهِمُ غداً فِعْلَ المُوارِبْ
فإذا ظفرت بهمْ ظِفرْ تَ بمنَّةٍ إن لم تعاقِبْ

وكقول الآخر :

قدرتَ على نفسي فأزمعتَ قتلها فأنت رخيُّ البال والنفسُ تَذْهبُ

---

(١) ثلَّةٍ : الجماعة من الناس .

كعصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يَسومُها ورودَ حياضِ الموتِ والطفلُ يَلْعبُ[1]

وكقول الآخر :

من يَلُمِ الدَّهرَ ألا فالدهرُ غيرُ مُعْتبهْ
أو يتعجَّبْ لصرو فِ الدهر أو تَقلُّبهْ
ومن يصاحبْ صاحباً ينسب إلى مصطحبهْ
بزائناتِ رشْدهِ أو شائناتِ ريبهْ
ورُبما غرَّ صحيحاً جَربَ بِجَربِهْ
تعرفْ ما حالُ الفتى في لبسه ومركبهْ
وفي شمأزيزته عَنْك وفي توثُّبِهْ
عليكَ أو إصغائِه إليك أو تحبُّبِهْ
والمرء قد يُدْركُه يوماً خمولُ منصبِهْ

(المعنى البارع في المعرض الحسن)

فأما المعنى الصحيحُ البارعُ الحَسَنُ ، الذي قد أبرز في أحسن معرض وأبهى كسوةٍ، وأرقِ لفظٍ ، فقول مسلم بن الوليد الأنصاري :

وإني وإسماعيلُ بعد فراقِه لكالغمدِ يوم الروعِ زايله النصْلُ
فإن أغش قوماً بعده أو أزرهُمُ فكالوحش يدنيها منَ الأنس المحْلُ

(١) يسومها : يذيقها انواع العذاب .

التشبيهات البعيدة (الغلو)

ومن التشبيهات البعيدة التي لم يلطف أصحابها فيها ، ولم يخرج كلامهم في العبارة عنها سلساً سهلا قول النابغة :

تَخْـدى بهـم أُدُمٌ كأنَّ رِحالها عَلَـقٌ أريق على مُتـونِ صوارِ[1]

وكقول زهير بن أبي سلمى :

فزلَّ عنهـا وأوفى رأسَ رقبتِهِ كمنصب العترِ دمَّى رأسهُ النُّسكُ[2]

وكقول خفاف بن نُدبه :

أبقـى لهـا التعـداءُ من عتداتها ومتونهـا كخيوطـه الكتَّانُ

والعتدات القوائمُ . أراد أن قوائمها دقت حتى عادت كأنها الخيوط ، وأراد « ضُلوعَها » فقال « متونها »

---

(١) تخْدى : تسير ·
أُدُمٌ : الإبل .
عَلَق : دمٌ .

(٢) المنصب : الحجر .
العتر : الذي يذبح في رجب .

وقول بشر بن أبي خازم :

وجرَّ الرامسات بها ذيولا كأنَّ شمالها بعد الدبورِ[1]
رمادٌ بين أظّارٍ ثلاثٍ كما وشِمَ النواشرُ بالنؤورِ[2]

فشبه الشمال والدّبور بالرماد .

وكقول أوس بن حجر :

كأن هِرًّا جنينا عند غُرضتِها والتفَّ ديكٌ برجليها وخنزيرٌ

وكقول لبيد بن ربيعة :

فخمةٌ زفراءُ ترتي بالعُرى قردمانيًّا وتركا كالبصَلْ[3]

وكقول النابغة الجعدي :

كأنَّ حجاجَ مقلتها قليبٌ من السمقين أخلقَ مستقاها

والحجاج لا يغور لأنه العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب .

وقول ساعدة بن جؤية :

كساها رطيبُ الريشِ فاعتدلت لها قداحٌ كأعناقِ الظباء الفوارِقِ

شبه الهام بأعناق الظباء ، ولو وصفها بالدقة كان أولى .

---

(١) الرامسات : الرياح الدواقي للآثار .
(٢) أظارٍ : جوانب الموقد .
النؤور : دخان الشحم .
(٣) ترتي : الرتو : الشدّ .
القردمانيه : الدروع الغليظة .
تركا : ج تريكه وهي البيضة .

الأبيات التي زادت قريحة قائليها على عقولهم

ومن الأبيات التي زادت قريحة قائليها على عقولهم قول كُثَيِّرٍ :

فإنّ أمير المؤمنين برفقه غزا كامنات السودّ مني فنالها

وقوله أيضا يخاطب عبد الملك :

وما زالت رقاك تسلُّ ضغني وتخرج من مكامنها ضبابي
ويرقيني لك الحاوون حتى أجابت حيَّة تحت الحجابِ

وقوله أيضاً :

ألا ليتنا يا عزُّ من غير ريبةٍ بعيران نرعى في الخلاء ونعزُبُ
كِلانا به عَرٌّ فمن يَرنا يقُلْ على حسنها جرباءُ تعدى وأجربُ[1]
نكون لذي مالٍ كثيرٍ مغفَّل فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلبُ
إذا ما وردنا مَنْهلاً صاحَ أهلُهُ علينا فلا ننفكُّ نرمى ونضربُ
وددت وبيتِ الله أنك بكرةٌ هجانٌ وأني مصعب ثم نهربُ

فقالت له عزة : لقد أردت بي الشقاء الطويل ، ومن المنية ما هو أوطأ من هذه الحال .

وكقول الآخر في زبيدة أم محمد الأمين :

أزبيدة ابنة جعفرٍ طوبى لسائِلكِ المثابْ
تُعطين من رجليكِ ما تُعْطى الأكفُّ من الرِّغابْ[2]

وكقول جرير بن عطية :

هذا ابن عمي في دمشقَ خليفةٌ لو شئت ساقكُمْ إليّ قطينا[3]

---

(١) عَرٌّ : جربٌ .
(٢) الرِّغاب : جمع رغبة .
(٣) قطيناً : عبيداً .

فقيل له : يا أبا حزرة لم تصنع شيئاً ، أعجزت أن تفخر بقومك حتى تعديت إلى ذكر الخلفاء ؟!

وقال له عمر بن عبد العزيز : جعلتني شرطياً لك . أما لو قلت : لو شاء ساقكم إليّ قطينا ، لسقتهم إليك عن آخرهم .

وكقوله :

يا بشرُ حُقَّ لوجْهِكَ التبشيرُ هلا غضبتَ لنا وأنت أميرُ

قد كان حقُّك أن تقولَ لبارقٍ يا آل بارقَ فيمَ سُبَّ جَريرُ

فقال بشر : أما وجد ابن اللخناء رسولاً غيري[1]

وقال : وكقول الأخطل :

ألا سائِلِ الجحَّافَ هَلْ هو ثائرٌ لقتلي أُصيبتْ من سَليمٍ وعامِرِ

فقَدَّر أنه يُعيِّرُ الجحافَ بهذا القول ويقصر به فيه ، فأجراه الجحاف مجرى التحريض ، ففعل بقومه ما دعى الأخطل إلى أن يقول :

لقد أوقعَ الجحافُ بالبِشْرِ وقْعةً إلى الله منها المشتكى والمعوَّلُ

فلو سكت عن هذا بعد ذلك القول الأول لكان أجمل به ، ثم لم يرض حتى أوعد وتهدد عند ذلك الخليفة فقال :

فإن لم تُغَيِّرها قُريشٌ بملكها يكُنْ عن قُريشٍ مستَمَارٌ ومرحَلُ[2]

وكقوله أيضاً :

فلا هَدَى الله قيساً من ضَلالتها ولا لعاً لبني ذكوان إذ عثروا[3]

---

(١) هو بشر بن مروان عامل البصره في أيامه ، والقصيدة في هجاء سراقة البارقي .

(٢) مستَمارٌ : ابتعاد .

(٣) لعا : دعاء .

ضجُّوا من الحرب إذ عضت غَوارِبَهم   وقيس عيلان من أخلاقِهـا الضَّجرُ[1]

فقال له عبد الملك : لو كان كما زعمت لما قلت :

لقـد أوقـع الجحـافُ بالبشـر وقعة   إلـى الله منهـا المشـتكيّ والمعوَّلُ

وكقول الفرزدق :

أوجـدْت فينـا غيرَ غدْرِ مُجاشِعٍ   ومجُـرَّ جعثِـنُ والـزبير مقالا

فأقر بأشياء لو سكت عنها كان أستر .

قال : وكقوله أيضاً :

وإن تميمـاً كلهـا غير سعدِها   زعـانفُ لولا عزُّ سعـدٍ لذلَّتِ

وقد وضع من قومه وهجاهم بهذا القول :

قال : وكقول بشر :

تكن لك في قومـي بدٌ يشبكرونها   وأيدي النـدى في الصـالحين فروضُ

وقول النابغة الجعدي :

ومـا رابها من ريبـةٍ غير أنها   رأت لمتـي شَابـتْ وشابـت لِداتيا

وأي ريبة أعظم من أن رأته قد شاب :

وقول الأعشى :

رأت رجـلاً غائـرَ الوافدين   متتشـلُ النحضِ أعمـى ضريراً[2]

وقوله :

وأنكرتنـي ومـا كان الـذي نكرت   من الحـوادثِ إلاَّ الشّيبَ والصلعا

---

(١) غواربهم : جوعهم .

(٢) الوافدين : الوافد : المرتفع من الخد عند المضغ .
النحض : اللحم المكتنز .

وقوله :

صَدَّت هريرةُ ما تكلِّمنا جهـلاً بأمِّ خليدٍ حَبْلَ من تَصِلُ
أأن رأت رجـلاً أعشـى أضـرَّ به ريبُ المنـون ودهـرٌ خاتِـلُ خَبِل[1]

وكقول الكميت :

إليك يا خيرَ من تضمنـتِ الأرضُ وإن عاب قولـي العُيُبُ

يعني رسول الله ﷺ ، ولا يعيب قوله في وصفه رسول الله ﷺ عائب إلا كافر بالله مشرك .

وقول حسان :

أكرم بقومٍ رسـولُ الله شيعتُهم إذا تفرقـت الأهـواءُ والشيعُ

كان يجب أن يقول : هم شيعة رسول الله ﷺ لأن في هذا الكلام جفاء .

وقول جُنادَة بن نجية :

من حُبِّهـا أتمنـى أن يُلاقيَني من نحـو بلدتهـا ناع فينعاها
لكي أقـول فراقٌ لا لقـاءَ له أو تضمـن النفسُ يأسـاً ثم تسلاها[2]

---

(١) أعشى : ضعف بصره ، والدهر الخاتل أي الدهر الغادر ، والخبل : المذهب للعقل .

(٢) تسلاها : من السلو أي النسيان .

الشعر القاصر عن الغايات

ومن الأبيات التي قصَّر فيها أصحابُها عن الغايات التي أجروا إليها ولم يسدُّوا الخللَ الواقع فيها معنى ولفظاً قول امرئ القيس :

فللساق أُلهُوبٌ وللسوطِ درَّةٌ   وللزجر منه وقعُ أخرج مهذبِ[1]

فقيل له : إن فرساً يحتاج إلى أن يستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد .

وقول المسيب بن علس[2] :

وقد أتناسى الهمَّ عند احتضاره   بناجٍ عليه الصيعرية مكدمِ

فسمعه طرفة فقال : استنوق الجمل . والصيعرية من سمات النوق .

وقول الشماخ :

فنعم المعترى رحلت إليه   رحى حيزومها كرحى الطحينِ

وإنما توصف النجائب بصغر الكركرة ولطف الخفّ .

---

(١) أُلهُوب : الألهوب : الجري الشديد الذي يبعث التراب كالدخان .
درّةٌ : الدرّةُ : شدّة الدفع .
أخْرَجْ : ذكر النعام .
مهذّب : سريع .

(٢) المسيب بن علس شاعر جاهلي ذكره ابن سلام في الطبقة السابعة من الجاهلين (ص ١٣٢) .

وقولـــه :

وأعـــددت للســـاقين والرِّجـــل والنسا   لجامـــاً وسرجـــاً فوق أعـــوجَ مختالِ

وإنما يلجم الشدقان لا الساقان . وقول الأعشى :

ومـــا مزبـــدٌ من خليج الفراتِ   جونٌ   غواربـــه   تلتطمْ

بأجـــود منـــه بمـــا عونِه   إذا ما سماؤهـــم لم تغِـمْ

يمدح ملكا ويذكر أنه إنما يجود بالماعـون .

وقوله :

شتَّـــان ما يومـــي علـــى كورها   ويوم حيانَ أخـــي جابرِ[1]

وكان حيان أشهر وأعلى ذكراً من جابر فأضافه إليه اضطرارا .

وقول عدي بن زيد :

ولقـــد عديت دوسرةً   كصـــلاةِ القينِ مِذكاراً[2]

والمذكارُ التي تَلد الذكرانَ ، والمئنات عندهم أحمد .

وقال الشماخ :

بانـــت سعـــاد ففـــي العينين ملمولُ   وكان في قصـــرٍ من عهدها طولُ

كان ينبغي أن يقول : وكان في طول من عهدها قِصر ، أو يقول : وصار في قصر من عهدها [طول] .

وقول أبي دؤاد الإيادي[3] :

لو أنَّهـــا بذلـــت لذي سقم   مَرْهِ الفـــؤادِ مشارفُ القبضِ[4]

---

(١) كورها : الكور : الرجل بأداته ، والكور ايضاً كور الحداد المبني من الطين .

(٢) دوسرة : الناقة السريعة .

(٣) ابو داؤد الايادي : شاعرٌ من فحول الجاهلية اختلف في اسمه ، يذكر ابن رشيق ان امرأ القيس كان يتوكأ عليه ويروي شعره .

(٤) مره الفؤاد : متعب القلب .

أنُسُ الحـديثِ لظـلَّ مكتئباً حَرَّانَ من وجـدٍ بهـا مضُّ[1]

لو انه قال : يذهب سقمه ، لكان أبلغ لنعتها .

وقول أبي ذؤيب :

ولا يهْنىء الـواشين أن قد هجرتُها وأظلـم دونـي ليلَهـا ونهارُها

كان ينبغي أن يقول : وأظلم دونها ليلي ونهاري .

وقوله :

عصانـي إليهـا القلـبُ إنـي لأمره سميعٌ فمـا أدري أرشـدٌ طلابُها

كان ينبغي أن يقول : أم غيّ ، فنقص العبارة .

وقول ساعدة بن جؤبة :

فلـو نبأتَـك الأرضُ أو لو سمعتَهُ لأيقنـت أنـي كدت بعـدك أكمدُ[2]

لو قال : إني بعدك كمدٌ ، لكان أبلغ من قوله : كدت أكمد .

وقول ابن أحمر :

غادرنـي سهمـه أعشـى وغادرهُ سيف ابن أحمر يشكو الرأسَ والكبدا

أراد : غادرني سهمه أعور فلم يمكنه ، فقال أعشى .

وقول طرفة :

كأن جناحـي مضرحيٍّ تكنَّفا حفـافيه شكا في العسيبِ بمسردِ[3]

وإنما توصف النجائب بدقة شعر الذنب وخفته ، وجعله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً .

---

(١) وجدٍ بها مضضٍ : حبّ شديد مؤلم .

(٢) أكمد : أحزن .

(٣) العسيب بمسرد : النخلة التي أضرّ بها العطش .

وقول امرىء القيس :

وأركب في الـروعِ خيفانةً كسـا وجهها سعفٌ مُنْتشرْ

شبه ناصيتها بسعف النخل لطولها ، وإذا غطى الشعر العين لم يكن الفرس كريماً :

وقول الحطيئة :

ومـن يطلـب مساعـي آل لأي تصعّـده الأمـورُ الـى علاها

كان ينبغي أن يقول : من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر عن بلوغها فأما إذا تساوى بهم غيرهم فأي فضل لهم . وقوله :

صفـوفٌ ومـاذيُّ الحـديد عليهم وبيضٌ كأولاد النعـام كثيفُ[1]

شبه البيض بأولاد النعام ، أراد بيض النعام .

وقول لبيد العامري :

ولقـد أُعْوِصُ بالخصـمِ وقد أمـلأُ الجفنـةَ من شحـم القُلَلْ[2]

أراد السنام ، ولا يسمى السنام شحما .

وقوله :

لو يقـومُ الفيلُ أو فيالُهُ زَلَّ عن مثـل مقامـي وزَحَلْ

وليس للفيال مثل أيد الفيل فيذكره .

ولقول النابغة الذبياني :

ماضـي الجنـانِ أخـي صبر إذا نَزلت حربٌ يوائـل منهـا كلُّ تنبالِ[3]

التنبال القصير من الرجال ، فإن كان كذلك فكيف صار القصيرُ أولى بطلب

---

(١) ماذيّ الحديد : أي أنهم يلبسون الحديد في الحروب وماذيّ صفة من صفات الدرع .

(٢) اعوص : أعَوص بالخصم : أدخله فيما لا يفهم : ، والجفنة : الوعاء للطعام .

(٣) يوائل : يلجأ ويفر ، تنبال : القصير من الرجال .

المؤثل من الطويل ، وإن جعل التنبال الجبان فهو أعيبُ لأن الجبان خائفٌ وَجلٌ ، اشتدت به الحرب أم سكنت ، وإن كان عن مثل قول الهمذاني :

يكرُّ على المصاف إذا تعادى   من الأهوال شجعانُ الرجالِ

وقول طرفة بن العبد :

من الزمرات أسبل قادماها   وضرتها مركنّةٌ ذرورُ[1]

لا يكون القادمان إلا لما له آخران ، وتلك الناقة التي لها أربعة أخلاف .

ومثله قول امرىء القيس :

إذا مسَّتْ قوادمها أرنَّتْ   كأنَّ الحيَّ بينهُمُ نِعيٌّ

وقول المسيب بن علس :

فتسلَّ حاجتها إذا هي أعرضت   بخميصةٍ سرح اليدين وساعِ[2]
وكأن قنطرة بموضع كورها   ملساءَ بين عوامض الأنساعِ
وإذا أطفْت بها أطفت بكلكلٍ   نبض الفرائض مجفر الأضلاعِ[3]

فكيف تكون خميصةَ وقد شبهها بالقنطرة لا تكون إلا عظيمة ، وقال هي مجفرة الأضلاع ، فكل هذا ينقض ما ذكره من الخمص .

قال : وقول الحطيئة :

حرجٌ يلاوذُ بالكناسِ[4] كأنه   متطرفٌ حتى الصباح يدورُ

---

(١) الزمرات : قليلات الصوف .
(٢) خميصة : منطبقة البطن (الجائعة) .
الساعِ : واسعة في سيرها
(٣) نبض : شدة الحركة .
الفرائض : جمع فريضة وهي لحمة الكتف .
مجعفر الاضلاع : المجعفر : البئر ويريد بقوله انها عظيمة الجوف .
(٤) الكِنَاسْ : موضع الظبي بين الشجر ، والكُنّسْ : الكواكب

حتى إذا ما الصبحُ شق عمودَهُ وعلاه أسطع لا يردُّ منيرُ
وحصى الكثيبِ بصفحتيه كأنَّهُ صدأُ الحديدِ أطارهن الكيرُ[1]

زعم أنه لم يزل يطوف حتى أصبح وأشرف على الكثيب فمن أين الحصى بصفحتيه .

(١) الكثيب : الرَّمال . والكير المنفخ الذي يستعمله الحداد .

الشعر الرديء النسج

ومن الأبيات المستكرهةِ الألفاظ القلقةِ القوافي ، الرديئةِ النسجِ فليست تسلمُ من عيب يلحقها في حشوها أو قوافيها ، أو ألفاظها ، أو معانيها ، قولُ أبي العيال الهذلي :

ذكرتُ أخـي فعاودني صداع الـرأسِ والوصبُ[1]

فذكر الرأس مع الصداع فضل .

وقول أوس بن حجر :

وهـم لمقلِّ المالِ أولادُ علّةِ وإن كان محضاً في العمومـة مخولا

فقوله المالَ مع مقل فضلٌ .

وكقول عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الخزرجيّ :

قيدت وقـد لان هاديهـا وحارِكها والقلبُ منها مطارُ القلـب محذورُ

وكقول الآخر :

ألا حبـذا هنـدُ وأرضٌ بهـا هندُ وهنـدُ أتى من دونها النأيُ والبعدُ[2]

فقوله البُعدُ مع ذكر النأي فضلٌ .

---

(1) الوصب : المرض .

(2) الموشح للمرزباني ١٤١ بتحقيق البجاوي ط . سنة ١٩٦٥ مصر .

وكقول الأعشى :

فرميت غفلةَ عينهِ عن شأتِه فأصبتُ حبةَ قلبِها وطحالَها

وقوله :

استأثر اللهُ فالوفاءِ وبالعدل وأولى الملامةَ الرجلا

وقول الحطيئة :

قَرَوْا جارك العيمان لما جفوته وقلَّص عن برد الشراب مشافرُهْ

أراد شفتيه .

وقول المزرد داعي الزنج :

فما برح الولدان حتى رأيته على البكرِ يمريه بساقٍ وحافرِ[1]

يريد بساق وقدم .

وقول حسان :

وتكلفي اليومَ الطويلَ وقد صرَّت جنادبُه من الظهرِ[2]

أراد بالظهر حر الظهيرة .

وقول المتلمس[3]

إن تسلكي سبلَ الموماةِ منجدةً ما عاش عمروٌ، وما عمَّرت قابوسُ[4]

أراد ما عاش عمرو وما عمر قابوس .

---

(١) يمريه : المرية : الشكّ .

(٢) صرَّت : الصرُّ صوت الجندب .

(٣) المتلمس : جرير بن عبد المسيح بن عبد الله من شعراء الجاهلية اعتبره ابن سلاّم في الطبقة الثانية من الفحول . (ص ١٣١) .

(٤) الموماة منجدة : الموماة اسم مكان ومنجدة اي قاصدة نجد في الحجاز .

وقوله :

من القاصـرات سجـوفُ الحِجال   لم ترَ شمْسـاً ولا زمهريراً[1]

أراد لم تر شمساً ولا قمراً ، ولم يصبْها حرٌ ولا برد .

وقول علقمة بن عبدة[2] :

كأنهـم صابـتْ عليهـم سحابةٌ   صَواعقُهـا لطيرهـنّ دبيبُ

وقوله :

يحملن أترجـةً نضـحَ العبيرُ بها   كأنَ تطيابهـا في الأنف مشمومُ

وقول عامر بن الطفيل :

تناولتـه فاحتـل سيفـي ذبابَة   شرا سيفِـهِ العليا وجـذً المعاصما[3]

وقول خفاف بن ندبة[4] :

إن تعرضـي وتضنـي بالنـوالِ لنا   فواصـلين إذا واصلـت أمْثالي[5]

وقول علقمة بن عبدة :

طحابكَ قلـبٌ في الحسـان طروبُ   بُعيدَ الشبـاب عصـرَ حان مشيبُ[6]

---

(١) سجوف الحجال : اي الفتيات المنعّمات القابعات في البيوت .

(٢) علقمة بن عبدة بن ناشرة ، وضعه ابن سلاّم في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية مات نحو سنة ٧٠ ـ ق. هـ (ص ٢١٥) .

(٣) شراسيفه :ج شرسوف وهو غضروف معلق في الضلع .

(٤) خفاف بن ندبة : هو ابو خراشة بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي . من مضر ، شاعر فارس من أغربة العرب عاش في الجاهلية زمناً وأسلم ومات أيام عمر بن الخطاب .

(٥) تضني : تبخلي .

(٦) طحا : مال .

الشعر المحكم النسج

ومن القوافي الواقعة في مواضعها ، المتمكنةِ من مواقعهـا ، قولُ أمـرىء القيس في قصيدته التي يقول فيها :

وقـد أغتـدى قبـل العُطـاسِ بهيكل ... شديدٍ مَشكُ الجَنْبِ فَعْمِ المُنطَّقِ[1]

قوله :

بعثنـا ربيئـاً قبـل ذلك محملاً ... كذئبِ الغضا يمشي الضَّراء ويتقي[2]

فوقعت يتقي موقعاً حسناً .

وكذلك قول النابغة :

تجلـو بقادمتـي حمامـة أيكة ... برداً أُسِفٌ لَثَاتُـهُ بالإِثْمدِ[3]

كالأقحـوانِ غداةَ غبِّ سمائِه ... جفـتْ أعـاليهُ وأسفلُـهُ ندي[4]

زعـم الهمـامُ بأن فاهـا باردٌ ... عذبٌ إذا ما ذقتـه قلـت ازْدَدِ

زعـم الهمـامُ ولـم أذقـه أنه ... يروى بريِّقها من العَـطش الصدي[5]

---

(١) العُطاس : انبلاج الفجر .
فَعْمِ المنطَّق : ممتلىء مكان النطاق .

(٢) يمشي في الضَرَّاء : يختفي بالشجر .

(٣) الإثمدِ : حجرٌ يكتحل به .

(٤) الغبّ : المطر .

(٥) الصديّ : الظمىء .

فقوله « وأسفله ندي » : و« من العطش الصدي » وقعا موقعين عجيبين .

وقول زهير :

وأعلـم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علـمِ ما في غدٍ عَمِ

فقوله : « عم » واقعة موقعاً حسناً .

وكقوله :

صحا القلبُ عن سلمى فقد كان لا يصحو واقفـرَ من سلمـى التعـانيقُ فالثقلُ[1]

وقـد كنـت من سلمـى سنينـا ثمانياً على صـيرِ أمـرٍ ما يمـرُّ ومـا يحلوُ[2]

فقوله : « يَحْلُو » حسنة الموقع .

وكقولهِ في قصيدتِه التي يقول فيها :

لذي الحلـمِ من ذبيانَ عندي مودةٌ وحفـظٌ ومَن يُلْحـم إلى الشرِّ أنشج[3]

قوله :

مخـوف كأنَّ الطَّـير في مَنزلاتِه علىَ جيَف الحَسرَى مجَـالسُ تنْتجي

فقوله : « تنتجي » حسنة الموقع جداً .

وكقوله :

ولنعـم حَشْـوُ الـدِّرعِ أنـت إذا دُعيت نزَالِ ولُـجَّ في الذُّعْرِ

---

(١) التعانيق فالثقل : موضعان .

(٢) صبرِ أمرٍ : طرفٍ من الأمر .

(٣) أنشج : أحزن من النشيج وهو صوتٌ

وإنَّـك تفـري ما خلقـت وبعـ ـض القـوم يُخْلـقُ ثم لا يَفري[1]
ولأنـت أشجـع حـين يتَّجـهُ الأبـ ـطالُ من ليثٍ أبـي أجْري[2]

فقوله : ثم لا يفري » و « أبي أجري » حسنان في موقعهما .

وكقول بشر :

فمـا صدعٌ بحيَّةَ أو بشرجٍ علـى زَلَـقٍ زوالـقُ ذي كهافِ
تَزِلُّ اللقـوةُ الشغْـواءُ عنها مخالبُهـا كأطـرافِ الأسافي[3]
بأحـرزَ موئلاً من جارِ أوسٍ إذا ما ضيم جيرانُ الضِّعافِ

فقوله : « كأطراف الأسافي » حسنة الموقع .

وكقول الأعشى :

وإذا تكونُ كتيبـةٌ ملمومةٌ خرسـاءُ يخشـى الذائـدون نصالَها
كنـت المقـدَّم غير لابِس جُنَّةٍ بالسيف تضـربُ معلمـاً أبْطالَها[4]
وعلمـتَ أن النفس تلقـى حتفَها ما كان خالقُهـا المليكُ قضـى لها

فقوله : « قضى لها » عجيبة الموقع .

وكقوله :

ومثـلُ الـذي تُولوننـي في بيُوتِكم يُروِّي سنانـاً كالقُدامَـى وثَعْلبَا
ومـا عنـده زرفـى علمـتُ دلالَه علـي من الـريح الجنـوب ولا الصبا

---

(١) تفري : تفرّق .
(٢) أجْري : : ج جرو : ولد الاسد .
(٣) اللقوة : الناقة .
(٤) جُنَّةٌ : درع .

وكذلك قوله :

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ … وأخرى تداويت منها بِها
لكي يعلَم الناسُ أنّي أمرؤٌ … أتيت الفُتوةَ من بابِها

فقوله : « منها بها » لطيفةٌ حسنة الموقع جداً .

وكقول أبي كبير الهذلي :

ولقد ربأتُ إلى الصحابِ تواكلوا … جَمْر الظهيرةِ في اليفاع الأطولِ[1]
في رأسِ مشرفةِ القذالِ كأنها … جمرٌ بمسبكةٍ تُشَبُّ لمصطلي[2]

وكقول أبي خراش :

ولم أدْرِ من ألقى عليه رداءَه … سوى أنه قد سُلَّ عن ماجدٍ محضِ
بلى إنها تعفو الكلُوم وإنما … تُوكَّلُ بالأدنى وإن جل ما يمضي[3]

فقوله « يمضي » حسنة جيدًا .

وكقول عروة بن أذينة :

وكلُّ هوىً دان عني زمانا … له من بعد ميعته تجَلي[4]
كأني لم أكن من بعد ألفٍ … عذلتُ النفسَ قبلُ على هوىً لي
فإن أقصرْ فقد أجريت عصراً … وبلأني الهوى فيمن يُبَلي

فقوله « هوى لي » لطيفة الموقع .

وكقول ذي الرمة في قصيدته :

أراح فريقٌ جيرتِك الجمالا … كأنهم يريدون احتمالا

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .
(٢) القذال : جماع مؤخر الرأس .
(٣) الكلوم : الجروح .
(٤) ميعته : حباه .

فكدت أمـوت من حزنٍ عليهم ولـم أرَ نادي الاظعـان بـالى[1]

فقوله : « بالى » عجيبة الموقع .

وكقول الفرزدق :

فإن تهـجُ آل الزبرقـان فإنما هجوتَ الطوالَ الشمَّ من هضب يذبلِ
وقـد ينبـح الكلـبُ النجـومَ ودونه فراسـخُ تنضي الطـرف للمتأمِّلِ
أرى الليلَ يجلـوه النهـارُ ولا أرى عِظـامَ المخـازي عن عَطيَّة تنجَلي

فقوله : « تنجلي » متمكنة في موضعها .

وكقول الحطيئة :

من يفعـل الخيرَ لا يعـدم جوازيه لا يذهـبُ العرفُ بين الله والناسِ[2]
دعِ المـكارم لا ترحـل لبغيتها واقعد فإنَّك أنت الطَّاعـم الكاسي

فقوله : « الكاسي » عجيبة الموقع .

وكقوله :

إذا نزلَ الشتـاءُ بأرض قوْمٍ تجنَّـبَ جارَ بيتِهِمُ الشتاءُ
هم القـوُم الـذين إذا ألمَّت من الأيامِ مظلمـةٌ أضاءوا

فقوله : « أضاءوا » حسنة الموقع .

فهذه أمثله قد احتذى عليها المحدثون من الشعراء وسلكوا منهاج من تقدمهم فيها ، وأبدعوا في أشياءَ منها ستعثر بها في أشعارهم كقول أبي عيينة

---

(١) الأظعان : الظعن : الرحيل .

(٢) جوازيه : أي جزاءه ، والعرف : المعروف .

المهلبي :

دنيا دعوتك مسمحاً فأجيبي وبما اصطفيتك للهوى فأثيبي
دومي أدُمْ لك بالوفاء على الصَّفا إنِّي بعهدك واثقٌ فثقي بي

فقوله : « فثقي بي » لطيفة جدّا يستدل بها على حذق قائلها بنسج الشعر .

التخلص

ومن الأبيات التي تخلَّصَ بها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها من مديح أو هجاء أو افتخار أو غير ذلك ، ولطفوا في صلة ما بعدها بها فصارت غير منقطعة عنها ، ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم ، لأن مذهب الأوائل في ذلك واحدٌ ، وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير النوق ، وحكايةَ ما عانوا في أسفارهم : إنّا تجشمنا ذلك إلى فلان يعنون الممدوح ، كقول الأعشى :

إلى هوذةِ الوَهّابِ أزجي مطيتي ... أُرجِّي عطاء صالحاً من نوالكا

وكقوله :

أنضيتُها بعدما طال الهبابُ بها ... نؤمُّ هوذَة لا نكساً ولا وَرَعا

يا هوذُ إنك من قومٍ أولي حسبٍ ... لا يفشلون إذا ما آنسوا فَزَعا

وكقوله :

فذلك شبهته ناقتي ... وما إن لغيرك إعمالُها

فمنك تؤوب إذا أدبرت ... وقصدكَ يعطفُ إقبالُها

وكقوله :

فعلى مثلها أزورُ بني قيـ ... ـسَ إذا شطَّ بالحبيبِ الفراقُ

وكقوله :

إليكَ ابنَ جفنةَ من شقةٍ دأبتُ السُّرى وحسرتُ القَلوصَا[1]

تَشكَّى إليَّ فلم أشكها مناسمَ تَدمى وخُفّاً رهيصا[2]

يَراكَ الأعادي على رَغْمهم تحُلُّ عليهم محلاً عويصَا

وكقوله :

وإلى ابن سُلمى حارثُ قطعَتْ عرضَ السِّخالِ مطيَّتي تَضعُ[3]

ورثَ السيادةَ عن أوائله فأتمَّ أحسَنَ ماهُمُ صنَعُوا

وكقوله :

إلى المرءِ قيسٍ أطيلُ السُّرى وآخذُ من كلِّ حيٍّ عُصمْ[4]

أو يستأنف الكلام بعد انقضاء التشبيبِ ووصف القبائِل والنوقِ وغيرها فيقطع عما قبله ويبدأ بمعنى المديح : قول زهير :

وأبيضَ فياضٍ يداه غمامةٌ على معتفيه ما تغِبُّ نوافِلُه[5]

أو يتوصل إلى المديح بعد شكوى الزمان ووصف محنِهِ وخطوبه فيُستجارُ منه بالممدوح .

أو يُستأنف وصفُ السحابِ أو البحرِ أو الأسدِ أو الشمسِ أو القمر . فيقال : فما عرض أو فما مزيدا أو فما مخدرا أو فما الشمس والقمر او البدر بأجود أو بأشجع أو بأحسن من فلان ، يعنون الممدوح ، فسلك المحدثون غير هذه السبيل ولطَّفُوا

---

(١) السرى : السير ليلاً . والقلوص : الناقة .

(٢) مناسم : ج منسم : خفُّ البعير . رهيصا : الرهصة وهي وقرة تصيب باطن الخفّ .

(٣) السِّخال : الأرض المجهولة .

(٤) عُصُمْ : ما يعتصم به من الجوع .

(٥) معتفية : قاصد به للعطاء . .
وتغبُّ : تنقطع .
نوافله : عطاياه .

القول في معنى التخلص إلى المعانى التي أرادوها ، فمن ذلك قول منصور النمري :

إذا امتنـعَ المقـالُ عليك فأمدح أمـيرَ المؤمنـين تجـدْ مقالاً
فتـى ما إن تزالُ به ركابٌ وضعـنَ مدائحـاً وحملنَ مالا

وقول أبي الشيص[1] :

أكلَ الـوجيفُ لحومَهـا ولحومَهم فأتـوك أنقاضـاً على أنقاضِ
ولقـد أتتـك على الخطـوب سواخطا ورجعـن عنـك وهـن عنـه رواضِ

وكقول محمد بن وهب[2] :

حتـى استـردَ الليلُ خلعته وبـدا خلالَ سوادِهِ وضحُ
وبـدا الصبـاحُ كأنَ غرتَهُ وجـهُ الخليفـةِ حـين يُمتدحُ

وكقوله في تخلصه من وصف الديار الى وصف شوقه :

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ دثَـرا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ[3]
لبسـا البلى فكأنمـا وجَدَا بعـد الأحبـةِ مثـل ما أجِدُ

وكقول بكر بن النطاح في تخلصه إلى الافتخار :

ودويَّةٍ خلقـت للسرا ب فأمواجُـه بينهـا تزخَرُ
ترى جنَّهـا بـين أضعافِها حُلُـولاً كأنهـم البربَرُ
كأن حنيفـةَ تحميهُمُ فألينهُـمُ خَشِـنٌ أزوَرُ

وكقوله :

يا من يريدُ بأنَّ تكلمَـه الندى بلسـانِ قاسمِـهِ النـدى يتكلَّمُ
مَدْحُ ابـن عيسى قاسـمٍ فاسـددْ به كلتـا يديك الـكيمياءُ الأعظمُ

---

(١) ابو الشيص: هو محمد بن عبد الله بن رزين من شعراء العباسيين ، عاش زمن الرشيد (الشعر والشعراء ١٢٠) - (الاغاني ١٥ / ١٠٤) .

(٢) محمد بن وهب شاعر من اهل بغداد يعدُّ وسطاً في الشعر ، من طبقة دعبل وكان يتشيّع ويمدح المامون والمعتصم (الاغاني ١٧ / ١٤١) .

(٣) نَضَدُ : اي لا اثر ولا معالم ونضد متاعه : وضع بعضه على بعض .

وكقول دعبل :

وميثــاءَ خضراءَ زَربيَّة بهــا النَّوْرُ يُزْهــرُ من كلِّ فَنْ[1]

ضحــوكاً إذا لاعَبَتْــهُ الرِّياحُ تأوَّدَ كالشَّــارِبِ المُرْجحن

فشبَّهــه صحْبي نوارَهُ بديبــاجِ كِسرى وعَصْــبِ اليَمنْ[2]

فقلــتُ بعُدتُـم ولكنَّني أشبِّهُــهُ بجنــابِ الحَسَنْ

فتــى لا يرى المال إلا العطاءَ ولا الكنــزَ إلا اعتقــاد المنن

وكقوله :

قالــت وقــد ذكرتُهــا عهــد الصبا باليأس تُقطــعُ عادةُ المعتادِ

إلا الإمَــام فإن عادة جودِهِ موصولــةٌ بزيادة المزدادِ

وكقول عبد الرحمن بن محمد الغساني :

وكأنَّ الرســومَ أخنــى عليها بعضُ غاراتنــا على الأعداءِ[3]

وكقوله في تخلصه إلى الافتخار أيضاً :

وانْــهَيْ جمــالَك أن ينــالَ مقاتِلي فتصيبُ قومــكِ سطــوةٌ من معشري

وكقول أبي تمام الطائي :

صَبَّ الفــراقِ علينــا صَبَّ من كثبٍ عليه اسحَقُ يوم الــروع منتقما

وكقول البحتري :

شقائــقُ يحملنَ النــدى فكأنه دمــوعُ التصابــي في خدود الخرائدِ[4]

كأن يد الفتــحِ بن خاقــانِ أقبلت تليهــا بتلك البارقــات الرواعِدِ

وكقوله :

بــين الشقيقــةِ فاللِّــوى فالأجرعِ دمِــنٌ حُبِسْنَ على الــرياح الأرْبَعِ

---

(١) ميثاءَ : الارض السهلة .

زربيَّة : المفرد من زرابي ، وزرابيّ النبت إذا اصفرَّ واحمرَّ وفيه خضرة (اللسان مادة زرب)

(٢) عصب اليمن : قماشة الملوّن .

(٣) اخنى : فتك بها وافناها .

(٤) الخرائد : ج . خريدة : البكر التي لم تُمسّ .

فكأنما ضَمِنتْ معالِمُها الذي ضمنته أحشاءُ المحبِ الوجعِ

وكقوله :

يجرُّ على الغيثِ هدابَ مزنةٍ وآخرُهُ فيه وأولُهُ عندي
تعجَّلَ عن ميقاته فكأنه أبو صالح قد بت منه على وعْدِ

وكقوله :

أقول لثجاجِ الغمام وقد سرى بمحتفل الشؤبوب صاب فأفعما[1]
أقلَّ وأكثر لَست تبلُغُ غاية تبين بها حتى تضارعَ هيثما
فتى لَبِستْ منه الليالي محاسنا أضاءَ لها الأفقُ الذي كان مظلما

وكقوله :

لعمرك ما الدنيا بناقصةِ الجَدَّا إذ بقي الفتحُ بنَ خاقان والقَطْرُ[2]

وكقوله :

أبَرقٌ تجلى أم بَدَا ابنُ مدبّرٍ بغرّةِ مسؤولٍ رأى البِشرَ سائلُه

وكقوله :

أدارُهُمُ الأولى بدارةِ جُلْجلٍ سقاكِ الحيا روحاته وبواكرُهْ[3]
وجاءكِ يحكي يوسفَ بن محمدٍ فروّتكِ ريّاهُ وجادكِ ماطِرُهْ

وكقوله :

كأن سناها بالعشيّ لِشرْبها تبلُّجُ عيسى حين يلفظُ بالوعْدِ[4]

(١) الشؤبوب : السحاب أو دفعات المطر .
(٢) القطرُ : الماء . المطر .
الجدا : العطاء .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) سناها : شعاعها ـ ضوؤها .

وكقوله :

آليتُ لا أجعلُ الإعدامَ حادثةً تخْشى وعيسى بنُ إبراهيم لى سَنَدُ

وكقول وهب الهمدانى :

وأطلب السَّيفَ يا نديمي والر يفُ في الأرض حيث اسماعيل

وكقوله :

أيامُ غصنِ الشبابِ يهتزُّ كالأسمرِ في راحةِ ابنِ حمّادِ

وكقوله :

لا والذي سنَّ للمدامةِ والـ ـماءِ نكاحاً بغير تطليقِ
ما مقلَتْ مقلتايَ اسمعُ في العـ ـالم من أحمد بن مسروقِ

وكقول علي بن جبلة :[1]

وغيث تألفّهُ نوءهُ وألبسهُ غَلَلاً أرمدا
تظلُّ الرياحُ تُهادي به إذا ما تحير أو عرَّدا
صَدوق المخيلةِ واني الظلا ل قد وعد الأرض أن ترغدا
كأنّ تواليه بالعَرا ءِ أهوى إلى الجلمدِ الجلمدا
تداعي تميمٍ غداة الجفار تدعو زرارة أو مَعْبَدَا

وكقول علي بن الجهم :

وساريةٍ ترتادُ أرضا تجودُها شغلت بها عيناً قليلاً هجودها
أتتنا بها ريحُ الصَبا وكأنها فتاةٌ تزجّيها عجوزٌ تقودُها

(١) عليّ بن جبلة شاعر عباسي (١٦٠ - ٢١٣ هـ .) الشعر والشعراء ٨٦٤)

فلما برحت بغداد حتّى تفجرت بأوديةٍ ما تستفيقُ مُدودُها
فلما قضت حقَّ العراقِ وأهْلَهُ أتاها من الريح الشمالِ يُريدُها
فمرت كفوْت الطرفِ سعياً كأنَّها جنودُ عبيدالله ولَّت بنودُها

وكقوله :

وترن وللصباح معقباتٌ تُقلِّصُ عنه أعجازَ الظلامِ
فلما أن تجلّى قال صحبي أَضوْءُ الصبحِ أم ضوء الإمامِ

وقول أبي الغَمر هارون بن محمد الرازي :

مكفهرٌّ ترنَحُ أعطافُهُ رجاً كما جاوب المطيَّ المطيُّ
وتلالا كأنّما في حشاهُ حَبَلٌ حانَ وضْعُهُ حَوْليُّ
ظلّ يحكي بجودِه جودَ كَفَّيْ مَلكٍ سيبُه هنِيٌّ مَرِيٌّ[1]

وكقول البحتري :

سقيت ربَاك بكل نوءٍ جَاعلٍ من وبله حقًّا لها معلوما[2]
فلو أنني أُعْطيتُ فيهنّ المنى لسقيتُهُنَّ بكفّ إبراهيما

وكقوله :

قل لداعي الغمام : لبيك واحلُلْ عُقَلَ العيسِ كي تجيبَ الدعَاءَ
عارضٌ من أبي سعيدٍ دعَاني بسنا بَرْقِهِ غداةَ تَراءَى[3]

وقول أبي تمام :

إِساءةَ الحادثاتِ استَنْبِطِي نفقا فقد أَظَلَّكِ إحسانُ ابن حسَّانِ

وكقوله :

يا صاحبيَّ تقصيًّا نظريكما تريا وجوهَ الأرضِ كيف تصوَّرُ

---

(١) سيبُه : عطاؤه .
(٢) النوء : الغيم .
(٣) عارضٌ : غيم ممطر .

تَرِبًا نهـاراً مُشْرِقـاً قد شابَهُ زهـرُ الرُّبَـا فكأنمـا هو مُقْمِرُ
خَلْـقٌ أطـلُّ من الـربيع كأنَّه خُلُـقُ الإمـامِ وهَـدْيُهُ المتيسرُ

وقوله :

ان الـذي خلـق الخلائـقَ قاتَها أقْواتها لتصرُّفِ الأحراسِ
فالأرضُ معـروفُ السماءِ قِرىً لها وبنـو الرجـاءِ لهُـم بنـو العبَّاسِ [٢]
القـومُ ظلُّ اللهِ أسـكنَ دينَهُ فيهـم وهـم جَبَـلُ الملـوك الـراسِي

وقوله :

يجاهـدُ الشوقَ طوراً ثم يتبعه مجاهـداتُ القـوافيِ في أبي دلفا

وكقوله :

إذا العيسُ وافـت بي أبـادلفٍ فقد تقطّـع ما بينـي وبـين النوائبِ

وقوله :

تداوَ من شوقـك الأقصى بمـا صنعت خيلُ ابـن يوسف والأبطـالُ تَطَّرِدُ
ذَاكَ السرورُ الـذي آلَـتْ بشَاشَتُهُ ألاَّ يجاورَهـا في مهجـةٍ كمدُ

وقوله :

لم يجتمـع قطُّ في مصرٍ ولا طرفٍ محمـدُ بن أبـي مروان والنُّوبُ

وكقوله :

ولقـد بَلَون خلائِقـي فوجَدْنني سمْـحَ اليدين بِبَذْلِ ودٍّ مُضمرِ
يَعجبْـن مني ان سمحـتُ بمهجتي وكذاك أعجـبُ من سماحـةِ جعفرِ
ملكٌ إذا الحاجـاتُ لذن بحقْوهِ صافحـن كفَّ نوالـه المُيَسَّرِ [٣]

---

(١) شابه : خالطه .
(٢) معروف السماء قرىً لها : اي مطر السماء هو الذي يحييها .
(٣) لُذْنَ بحقوه : استنجدن به .
والحقو : الازار والخصر ايضاً .

الشعر البعيد الغلق

وينبغي للشاعر أن يجتنبَ الإشاراتِ البعيدة ، والحكايات الغَلِقَةِ ، والإيماءِ المشكلِ ، ويتعمدَ ما خالفَ ذلك ، ويستعملَ من المجاز ما يقاربُ الحقيقةَ ، ولا يبعدُ عنها ، ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها ، فمن الحكايات الغلقةِ والإشارات البعيدةِ قول المثقب[1] في وصف ناقته :

تقولُ وقد درأتُ لها وضيني ... أهذا دينُهُ أبداً وديني[2]
أكلُّ الدهرِ حلٌّ وارتحالٌ ... أما يُبْقي عَليَّ ولا يقيني

فهذه الحكايةُ كلُّها عن ناقته من المجاز المباعد للحقيقة ، وإنما أراد الشاعر أن الناقةَ لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول . والذي يقارب الحقيقةَ قولُ عنترةَ في وصف فرسه :

فازوَرَّ عن وقعِ القنا بلبانِهِ ... وشكا إليَّ بِعبرةٍ وتحَمْحُمِ

(١) المثقب العبدي شاعر جاهلي عاصر عمرو بن هند .
(٢) درأتُ : دفعتُ .
وضيني : الوضين بطانٌ عريض منسوج من جلد .

وقول بشار :

غدتْ عانةٌ تشكو بأبصارها الصَّدى   الى الجأبِ إلا أنهَّا لا تخاطبُه[1]

ومن الايماء المشكل الذي لا يُفهم ، وقد أفرط في حكايته قول الآخر :

أومت بكفيها من الهَوْدج   لولاك هذا العام لم أحْججِ
أنتِ إلى مكةَ أخرجتني   حُبًّا ولولا أنتَ لم أخرجِ

فهذا الكلام كله ليس مما يدل عليه إيماء ولا تعبر عنه إشارة .

---

(١) الجأبُ : الحمار الوحشي .

ملاءمة معاني الشعر لمبانيه

وليست تخلو الأشعار من أن يُقْتصَّ فيها أشياءُ هي قائمةٌ في النفوس والعقول ، فيحسن العبارة عنها وإظهار ما يكمنُ في الضمائر منها فيبتهج السامعُ لما يرد عليه مما قد عرفه طبعه وقبله فهمه ، فيثُار بذلك ما كان دفينا ويبرز به ما كان مكنوناً ، فينكشفُ للفهم غطاؤه ، فيتمكنُ من وجدانه بعد العناء في نشدانه ، أو تُودع حكمةً تألفها النفوسُ ، وترتاح لصدقِ القول فيها وما أتت به التجاربُ منها ، أو تضمن صفات صادقة وتشبيهات موافقة ، وأمثالا مطابقة تصابُ حقائقها ، ويلطفُ في تقريب البعيد منها ، فيؤنسُ النافرُ الوحشيُّ حتى يعودَ مألوفاً محبوباً ، ويبعد المألوفَ المأنوسَ به حتى يصيرَ وحشياً غريباً ، فإن السمَع إذا ورد عليه ما قد مله من المعاني المكررة والصفات المشهورة التي قد كثر ورودها عليه مجّه وثقل عليه رعيُه ، فإذا لطَّف الشاعرُ لشوب ذلك بما يلبسه عليه ، فقرّب منه بعيداً أو بعَّد منه قريباً ، أو جلل لطيفاً ، أو لطَّف جليلاً أصغى إليه ودعاه واستحسنه السامع واجتباه . وهذا تطريق إلى تناول المعاني واستعارتها ، والتَلَطُّف في استعمالها على اختلاف جهاتها التي تُتناول منها ، كما نبهنا عليه قبل ، أو تضمن أشياء يوجبها أحوال الزمان على اختلافه وحوادثه على تصرفها ، فيكون فيها غرائب مُستحسنة وعجائبُ بديعةٌ مُستطرفة ، من صفات وحكايات ومخاطبات في كل فن تُوجبه الحال التي ينشأ قول الشعر من أجلها ، فتدفع به العظائم وتسلُّ به السخائم ،

وتُخلبُ به العقول ، وتُسحر به الألباب لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ ولطيف المعنى . وإذ قد قالت الحكماءُ إن للكلام الواحد جسداً وروحاً . فجسده النطقُ وروحهُ معناه ، فواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعةً متقنةً ، لطيفةً مقبولةً حسنةً ، مجتلبة لمحبة السامع له والناظر بعقله إليه ، مستدعية لعشق المتأمِّل في محاسنه ، والمتفرس في بدائعه ، فيحسه جسماً ويحققه روحاً ، أي يتيقنه لفظاً ، ويبدعهُ معنًى ، ويجتنب إخراجَه على ضد هذه الصفة فيكسوه قبحاً ويبرزه مسخاً ، بل يُسوِّي أعضاءه وزناً ، ويعدّل أجزاءه تأليفاً ، ويُحسِّن صورته إصابة ، ويكثر رونقه اختصاراً ، ويكرِّم عنصرَه صدقاً ، ويفيده القبولَ رقَّةً وَيُحصِّنُهُ جزالةً ، ويدنيه سلاسةً وينأى به إعجازاً ، ويعلم أنه نتيجة عقله ، وثمرة لبه وصورة علمه ، والحاكم عليه أولّه .

مفتتح الشعر (مطلعه)

وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتحِ أقواله مما يُتطيرُ به أو يُستجفى من الكلام والمخاطبات ، كذكر البكاء ووصف إقفار الديار ، وتشتت الألأف[1] ونعي الشباب ، وذمِ الزمان . لا سيما في القصائد التي تضمن المدائح أو التهاني . وتستعمل هذه المعاني في المراثي ووصف الخطوب الحادثة ، فإن الكلاَم إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطيَّر منه سامعهُ ، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح ، فيُجتنبُ ، مثل ابتداء قول الأعشى :

ما بكاءُ الكبيرِ بالأطْلالِ ... وسؤالي وهل تردّ سؤالي

دمنةٌ قفرة تعاورَها الصيـ ... فُ بريحين من صَبَاً وشمال[2]

---

(١) تشتت الالاف : اي تفرّق الاحباب .

(٢) دمنة : اي خرائب واطلال .

ومثل قول ذي الرمة :

ما بالُ عينِك منها الدمعُ ينسكبُ كأنه من كُلَى مفريّةٍ سربُ

وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس قولهُ :

أربعَ البِلى إنَّ الخشوعَ لبادي عليك وإنِي لم أخنك ودادي

وتطير منه فلما انتهى الى قوله :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقدتُم بني برمَكٍ من رائحين وغادي

استحكم تطيرُه ، فيقال إنه لم ينقص إلا أسبوع حتى نزلت به النازلة .
وأنشد البحتري أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري قصيدته التي أولها :

لك الويلُ من ليلٍ تطاوَلَ آخِرُهْ ووشكِ نَوى حيٍّ تزمُّ أباعرُه[1]

فقال له أبو سعيد : الويل لك والحربُ .

وليُجتنبْ في التشبيب من يوافق اسمها بعض نساء الممدوح من أمةٍ أو قرابة أو غيرها ، وكذلك ما يتصل به سببه أو يتعلق به وهمه ، فإن أرطأة بن سهية[2] الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : ما بقي من شعرك ؟ فقال : ما أطرب ولا أحزن يا أمير المؤمنين وإنما يقال الشعر لأحدهما ، ولكني قد قلت :

رأيتُ الدهرَ يأكُلُ كُلَّ حيٍّ كأكْلِ الأرض ساقطة الحديدِ
وما تبغي المنيةُ حين تغدو سوى نفسِ ابنِ آدمَ من مَزيد
وأحسب أنها ستَكُرُّ يوماً توفِّي نذرها بأبي الوليد

فقال له عبد الملك : ما تقول ثكلتك أمك ؟ فقال : أنا أبو الوليد يا أمير

(١) اباعرُه : ج . بعير .
(٢) ارطأة بن سهية : هو زفر بن عبد الله المزيّ ، امُّه سهية شاعر اموي مشهور ، شريف جواد . .

المؤمنين . وكان عبد الملك يكنى أبا الوليد أيضاً ، فلم يزل يعرف كراهة شعره في وجه عبد الملك الى أن مات .

فليجتنب الشاعرُ هذا وما شاكله مما سبيله كسبيله ، وإذا مر له معنى يستبشع اللفظ به لطف في ا لكناية عنه وأجلَّ المخاطبَ عن استقباله بما يتكرهه منه وعدَلَ اللفظ عن كاف المخاطبة الى ياء الإضافة الى نفسه إن لم ينكر الشعر ، أو احتال في ذلك بما يحترز به مما ذممناه ويوقف به على أرب نفسه ولطف فهمه كقول القائل :

ولا تحسبنَّ الحزنَ يبقي فإنه　　شهابُ حريقٍ واقِدٌ ثم خامِدُ
سآلفُ　فقدانَ الذي قد فقدتُه　　كإلفِكَ وجدان الذي أنت واجِدُ

وإنما أراد الشاعر : ستألف فقدان الذي قد فقدته كإلفك وجدان الذي قد وجدته ؛ أي تتعزَّى عن مصيبتك بالسلوّ فانظر اليه كيف لطف في إضافة ذكر المفقود الذي يتطير منه إلى نفسه ، وما يتفاءل إليه من الوجدان إلى المخاطب ، فجعل الموجود المألوف للمعزّى ، والمفقود لنفسه . .

ويحكى أن أبا دلف استنشد أبا حكيمة راشداً الكاتبَ بعض ما رثى أيرَهُ وأعجب بما سمعه من معاني قوله في ذلك الفن فانشده :

ألا ذهب الأيرُ الذي كنت تعرفُ

فقال له أبو دلف : أمك كانت تعرف .

تأليف الشعر

وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليفَ شعره ، وتنسيقَ أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائمُ بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصلَ كلامُهُ فيها ، ولا يجعلُ بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه ، فينسي السامعَ المعنى الذي يسوقُ القولَ إليه ، كما أنه يحترزُ من ذلك في كل بيت ، فلا يباعدُ كلمةً عن أختها ، ولا يحجزُ بينها وبين تمامها بحشو يشينُها ، ويتفقد كلَّ مصراع ، هل يشاكلُ ما قبله ؟ ، فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحدٍ منهما في موضع الآخر ، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ولَطُفَ فهمه . وربما وقعَ الخللُ في الشعر من جهة الرواة والناقلين له فيسمعون على جهةٍ ويؤدونه على غيرها سهواً ، ولا يتذكرون حقيقةَ ما سمعوه منه ، كقول أمرىء القيس :

كأنّي لم أركبْ جواداً للذةٍ ولم أتبطَّن كاعباً ذات خلخالِ
ولم أسبأ الزقَّ الرَّويَّ ولم أقل لخيلي كُرّي كرَّةً بعد إجفالِ[1]

هكذا الرواية وهما بيتان حسنان ، ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج فكان يروي :

---

(١) اسبأ : اشتري .
الرويّ : المملوء .
الاجفال : الانهزام بسرعة .

كأنـي لم أركبْ جواداً ولـم أقل   لخيلـي كُرِّي كرة بعـد إجفال
ولـم أسبـأ الـزق الـرويَّ للذةٍ   ولم وأتبطَّـن كاعبـاً ذات خلخالِ

وكقول ابن هرمة :

وإنـي وتـركي ندى الأكرمين   وقدحـي بكفِّـي زنـاداً شِحاحاً
كتـاركةٍ بيضَهـا في العراء   وملبسـةٍ بيضَ أخـرى جناحا

وقال الفرزدق :

وإنـك إذ تهجـو تميمـا وترتشي   سرابيل قيسٍ أو سحـوقَ العمائمِ
كمُهْـريق ماءٍ بالفـلاة وغرَّهُ   سرابٌ اذاعتـه رياحُ السمائمِ

كان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق ، وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة فيقال :

وإنـي وتـركي ندى الأكرمين   وقدحـي بكفـي زنـاداً شحاحا
كمهـريق ماءٍ بالفـلاة وغرّهْ   سرابٌ أذاعتـه رياحُ السمائمِ

ويقال :

وإنـك إذ تهجـو تميمـا وترتشي   سرابيل قيس أو سحـوق العمائمِ
كتـاركَةٍ بيضَهـا بالعراءِ   وملبسـة بيضَ أخـرى جناحا

حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعاً وإلا كان تشبيهاً بعيداً غير واقع موقعه الذي أريد له . وإذا تأملت أشعارَ القدماء لم تعدم فيها أبياتاً مختلفة المصاريع . كقول طرفة :

ولسـتُ بحـلاَّلِ التـلاعِ مخافةً   ولـكن متـى يسترفِـدِ القـومَ ارفُدِ[1]

---

(١) حلاّل التلاعِ : التلعة ما ارتفع من الارض . ومسيل الماء .

فالمصراع الثاني غير مشاكل للأول ، كقول الأعشى :

وإن امرءاً أهواهُ بيني وبينه فيأف تنوفاتٌ وبهماء خيفق [1]
لمحْقُوقةٌ أن تستَجيبي لصوتهِ وأن تعلمي أن المُعانَ موفَّقُ

فقوله : وأن تعلمي أن المعانَ موفقُ غير مشاكل لما قبله .

وكقوله :

أغرُّ أبيضُ يستسقي الغمامُ به لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قرعا

فالمصراع الثاني غير مشاكل للأول وإن كان كل واحد منهما قائماً بنفسه . وأحسن الشعر ما ينتظم القولُ فيه انتظاماً يتّسق به أولُه مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قدم بيتٌ على بيت دخله الخللُ كما يدخل الرسائل والخطب إذا نُقِضَ تأليفُها ، فإن الشعر إذا أُسِّسَ فصولِ الرسائلِ القائمة بأنفسها ، وكلمات الحكمةِ المستقلةِ بذاتها ، والأمثال السائرة الموسومةِ باختصارها لم يُحسنْ نظمُه ، بل يجب أن تكون القصيدة كلُّها ككلمةٍ واحدةٍ في اشتباه أولها بآخرها ، نسجاً وحسناً وفصاحة ، وجزالة ألفاظ ، ودقة معانٍ وصوابَ تأليفٍ ، ويكونُ خروجُ الشاعرِ من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً على ما شرطناه في أوّل الكتاب ، حتى تخرَجَ القصيدةُ كأنها مفرَّغةٌ إفراغاً ، كالأشعار التي استشهدنا بها في الجودة والحسن واستواء النظمِ ، لا تناقضَ في معانيها ، ولا وَهْيَ في مبانيها ، ولا تكلُّف في نسجها ، تقتضي كلُّ كلمةٍ ما بعدها ، ويكون ما بعدَها متعلقاً بها مفتقراً إليها . فإذا كان الشعر على هذا المثال سبق السامعُ إلى قوافيه قبل أن ينتهي إليها راويه ، وربما سبق إلى إتمام مصراع منه إصراراً يوجبه تأسيس الشعر كقول

---

(1) تنوفات : التنوفة : القفزر .
بهماء : الصحراء الواسعة .

البحتري :

سليلُ البيضِ قبرُهـا فأقاموا لظباهـا التـأويلِ والتنزيلا

فيقتضـي هذا المصـراع أن يكون تمامـه : « وإذا سالمـوا أعـزوا ذليلا »
وكقوله :

أحلَّـتْ دمـي من غير جُرمٍ وحرمت بلا سبـب يوم اللقـاء كلامي
فداؤك ما أبقيت منـي فإنه حشاشـةُ صبٍّ في نحـول عظامي
صلي مغرمـاً قد واتـرَ الشـوقُ دمعَهُ سجامـا على الخـدين بعـد سجام

فليس الذي حللته بمحلل .

يقتضي أن يكون تمامه : « وليس الذي حرمته بحرام » .

وأحسن الشعرِ ما يوضع فيه كلُّ كلمةٍ موضعهَا حتى يطابـقَ المعنـى الـذي أريدت له ويكونَ شاهدُها معها لا تحتاج إلى تفسيرٍ من غير ذاتها كقول جنـوب أخت عمرو ذي الكلب :

فأقسمـتُ يا عمـرو لو نَبَّاكَ إذاً نبَّهـا منـك داءٍ عضالا
إذا نبهـا ليث عِرِّيسةٍ مُقيتـاً ، مفيداً نفوسـاً ومالا
وخـرقٍ تجـاوزت مجهوله بوجنـاءَ حرفٍ تشـكّى الكلالا
فكنـتَ النهـار به شمسُهُ وكنـتَ دجـى الليلِ فيه الهلالا

فتأمل تنسيق هذا الكلام وحسنه . وقولها مُقيتا مفيداً ثم فسرت ذلك فقالت نفوساً ومالا ، ووصفته نهاراً بالشمس ، وليلاً بالهلال ، فعلى هذا المثال يجب أن ينسق الكلام صدقاً لا كذب فيه ، وحقيقة لا مجاز معها فلسفياً كقول القائل :

وفـي أربعٍ مني حلـت منـك أربعٌ فمَـا أنـا دارٍ أيُّهـا هاجَ لي كربي
أوجُهـكِ في عينـي أم الـريقُ في فمي أم النطقُ في سمعي أم الحب في قلبي ؟

القوافي

وسألتَ أسعدكَ اللهُ عن حدود القوافي ، وعلى كم وجه تتصرف قوافي الشعر ؟ قوافي الشعر كلُّها تنقسمُ على سبعة أقسام : أما أن تكون على فاعل مثل كاتب وحاسب وضارب ، أو على فعال مثل كتاب وحساب وجواب ، أو على مَفْعلْ مثل مكتب ومضرب ومركب ، أو على فَعيل مثل حبيب وكثيب وطبيب . أو على فَعَلَ مثل ذهَبَ ، وحَسَبَ ، وطَرَبَ ، أو على فَعْل مثل ضَرْب ، وقلْب ، وقطْب . أو على فُعَيْل مثل كليب ، ونصيب وعذيب . على هذا حتى تأتي على الحروف الثمانية والعشرين ، فمنها ما يطلق ومنها ما يقيد ثم يضاف كل بناء منها إلى هائها المذكر أو المؤنث ، فيقول كاتبه أو كاتبها ، أو كتابها ، أو مركبه ، أو مركبها ، أو حبيبه ، أو حبيبها ، أو ذهبه أو ذهبها أو ضربه أو ضربها ، أو كليبه أو كليبها ، ويتفق هذا في الرجز . فهذه حدود القوافي التي لم يذكرها أحد ممن تقدم ، فأدرها على جميع الحروف واخترْ من بينها أعذبها وأشكلها للمعنى الذي تروم بناء الشعر عليه إن شاء الله . نفعك الله بفهمك ومتعك بعلمك وأسعدك في الدارين بمنِّهِ ورأفته .

[تم كتاب عيار الشعر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وكان الفـراغ من نسخه يوم السبت رابع شهر صفر الخير من شهور سنة سبع وسبعين وسبعمائة وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم].

فهرس القوافي والشعراء

حرف الهمزة

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف العين

ـ الفـاء ـ

ـ القـاف ـ

ـ الكـاف ـ

ـ الـلام ـ

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

مراجع التحقيق

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ط المنار .

أشعار الهذليين ط دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٠ .

الاصابة لابن حجر ط السعادة سنة ١٣٢٣ هـ .

الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ط بولاق ١٢٨٥ هـ .

أمالي الشريف المرتضي ط السعادة ١٣٢٥ هـ .

أمالي ابن الشجري ط حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .

الأمالي لأبي علي القالي ط دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ .

أمثال الميداني .

البيان والتبيين للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون .

التاريخ الكبير للبخاري .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ط السعادة ١٣٤٩ هـ .

تاريخ الطبري .

تهذيب التهذيب لابن حجر ط حيدر آباد ١٣٢٥ هـ .

التشبيهات لابن أبي عون ط كمبردج سنة ١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م .

جمهرة أشعار العرب للقرشي ط بولاق ١٣٠٨ هـ .

الحيوان للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون ط الحلبي ١٣٦٤ هـ .

حماسة ابن الشجري ط حيدر آباد ١٩٤٥ هـ .

خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ط بولاق ١٢٩٩ هـ .
ديوان امرىء القيس ط الرحمانية ١٩٣٠ م .
ديوان الأعشى ط فينا سنة ١٩٢٧ م .
ديوان الأعشى بتحقيق محمد حسين مصر سنة ١٩٥٠ م .
ديوان جرير ط الصاوي بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .
ديوان أمية بن أبي الصلت ط بيروت ١٣٥٢ هـ .
ديوان حميد بن ثور ط دار الكتب المصرية .
ديوان الخنساء .
ديوان السموأل ط بيروت سنة ١٩٢٠ م .
ديوان القطامي ط ليدن سنة ١٩٠٢ م .
ديوان قيس بن الخطيم ط ليبسك سنة ١٩١٤ م .
ديوان الفرزدق ط الصاوي سنة ١٣٥٤ هـ .
ديوان أبي ذؤيب الهذلي ط دار الكتب المصرية .
ديوان ذي الرمة ط بيروت سنة ١٣٥٣ هـ .
ديوان الشماخ بن ضرار ط السعادة بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .
ديوان سحيم ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ .
ديوان كثير عزة ط الجزائر سنة ١٩٢٨ .
ديوان مسلم بن الوليد .
ديوان المتلمس ليبسك ١٩٠٣ م .
ديوان النابغة الذبياني ط بيروت سنة ١٣٤٧ هـ .
ديوان لبيد ط ليدن سنة ١٨٩١ م .
ديوان عروة بن الورد ط الجزائر سنة ١٩٢٦ م .
ديوان عمرو بن قميئة ط كمبردج سنة ١٩١٤ م .
ديوان أبي العتاهية ط بيروت سنة ١٩١٤ م .

ديوان كعب بن زهير ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٩ هـ ، سنة ١٩٥٠ م .
ديوان عنترة بن شداد ط التجارية سنة ١٩٥٥ م .
ديوان الطِّرِمَّاح بن حكيم ط ليدن سنة ١٩٢٧ م .
ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ط دار الكتب سنة ١٣١٣ هـ .
ديوان زهير بن أبي سلمى شرح الأعلم الشنتمري ط دار الكتب سنة ١٣٥٣ هـ .
ديوان عبيد الأبرص ليال .
ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ط مصر سنة ١٩٥٢ هـ .
ديوان الطفيل .
سمط اللآلىء للميمني ط لجنة التأليف سنة ١٣٥٤ هـ .
شعر الأخطل . ط شيخو .
شرح الحماسة للمرزوقي بتحقيق أحمد أمين وهارون ط لجنة التأليف سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٣ م .
شرح شواهد المغنى ط البهية ١٣٢٢ هـ .
شرح ديوان امرىء القيس للوزير أبي بكر بن عاصم ط القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .
الشعر والشعراء لابن قتيبة بتحقيق أحمد محمد شاكر ط الحلبي سنة ١٣٧٠ هـ .
شرح ديوان المتنبي للعكبري .
شعراء النصرانية بعناية لويس شيخو طبع بيروت .
شرح ديوان علقمة للأعلم الشنتمري ط الجزائرية ١٩٢٥ م .
شعر الحطيئة ط بيروت ١٩٥١ م .
الصناعتين لأبي هلال العسكري ط بتحقيق البجاوي وأبو الفضل ط الحلبي ١٩٥٢ م .
طبقات فحول الشعراء لابن سلام بتحقيق محمود شاكر ط المعارف سنة ١٩٥٢ م .
طبقات الشعراء لابن المعتز .
العمدة لابن رشيق ط حجازي ١٩٥٣ م .
العقد الثمين في شعر الشعراء الستة الجاهلين .

الكامل للمبرد ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٧ هـ .
لامية الهذلي ط باريس .
لباب الآداب لابن منقذ .
لسان العرب لابن منظور ط بولاق سنة ١٣٠٨ هـ .
مشارق الأفاويز طGeyer .
معاني الشعر لابن قتيبة ط حيدر آباد سنة ١٩٤٨ م .
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهاني .
الموشح للمرزباني ط السلفية سنة ١٣٤٣ هـ .
معجم الشعراء للمرزباني ط القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .
مجمع الأمثال للميداني ط القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .
المؤتلف والمختلف للآمدي ط القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .
المثل السائر لابن الأثير ط محيى الدين .
المفضليات بشرح ابن الأنباري طLyall .
معاهد التنصيص للبيتي .
معجم البلدان لياقوت الحموي ط السعادة ١٣٢٣ هـ .
الخصائص لابن جنّي ط دار الكتب المصرية .
نقائض جرير والفرزدق ط ليدن ١٩٠٥ م .
نهاية الأرب ط دار الكتب المصرية .

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله

[illegible] الهلال شارع نمتاش - نيوماكنت سنتر - تلفون ٨٠١٢٣٤
ص.ب ١١-٩٤٢٤ بيروت - لبنان